سلسلة دورات ليدبروا آياته

وقفات مع سورة الكهف

لفضيلة الشيخ الدكتور:

سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

تفريغ: مجموعة الأخوات التطوعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤٤هـ

المقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديه له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ فالنار.

ثمَّ -يا معاشر الإخوة والأخوات- إن خير المجالس، مجلسٌ يُذكر الله ﷻ فيه، وينشر فيه العلم، وخير تلك المجالس مجلسُ يُتدارس فيه كتاب الله، ويُتدارس فيه القرآن، ويُتدبَّر فيه القرآن؛ فإن القرآن كلام الله ﷻ، نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، ولم ينزل من السماء كتابٌ أهدى منه، خضعت له الرقاب، وسلَّمت له عقول ذوي الألباب، وشهدت له العقول والفِطر بأن مثله ليس من كلام البشر.

وأن فضله على كل كلام كفضل المتكلم به على الأنام، وأنه نور البصائر من عماها، وجلاء القلوب من صداها، وشفاء الصدور من أدوائها؛ فهو حياتها ونورها وغذائها ودوائها، وهو البرهان

الذي زاد على برهان الشـــمسِ ضـــياءً ونورًا، ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

وما عرف البشر شفاءً من جميع الأدواء مثل القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم هو الشفاء التمام من جميع الأدواء حِســيها ومعنويها، فما منُ شــبهةٍ تضــر القلب إلا وفي القرآن دفعها، وما من بلاءٍ يُصيب الإنسان إلا وفي القرآن شفائه؛ فالقرآن شفاءُ لكل داء ولا شك في ذلك، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِــفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإســراء: ٨٢]؛ فالقرآن شــفاءٌ للقلوب من داء الجهل، والشك، والريب، والشبهات؛ فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاءً قط أعظم، ولا أنفع، ولا أنجع في إزالة الأدواء بالكلية من القرآن الكريم.

فتبارك من جعل كلامه شـفاءً لصـدور المؤمنين، وحياةً لقلوبهم، ودواءً لأسـقامهم، وقرةً لعيونهم، وأُنسًا لأنفسهم، وفتح به منهم أعيونًا عُميا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا؛ فأشرق به الوجوه، واستنارت به القلوب.

والموفق من المؤمنين من عرف للقرآن قدره وشـرفه، وأدام النظر فيه، وأقام على تلاوته متدبّرا، وما كل أحدٍ يُؤهل ولا يوفق لصـــحبه القرآن الكريم؛ فهناك أقوامٌ أقعدتهم ذنوبهم؛ أقعدتهم بدعهم عن الاسـتشـفاء بالقرآن الكريم، وعن التلذذ بالقرآن الكريم، فما كل أحدٍ يوفق للاسـتشـفاء به، وإنما الموفق من وفقه الله ﷻ.

وإذا أحســن العليل مهما كانت عِلَّته التداوي بالقرآن، ووضـعه على دائه بصـدقٍ وإيمان، ويقينٍ وقبولٍ تام، واعتقادٍ جازم، واستفاءٍ للشروط لم يُقاوم الداء هذا القرآن أبدًا.

وكل هذا النَّفع من القرآن إنما طريقه أن يتخذ المؤمن القرآن سميره، وأنيســه، وجليســه، وأن يقرأه بتدبُّر؛ فلا شــيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبُّر والتفكُّر، فإنه يورث للقلب المحبة والشــوق،

والخوف والإنابة والخشية، والتوكل والرضا، والتفويض والشكر والصبر، وسائر أحوال القلب التي بها حياته، وإذا فقده القلب كان في ظلمه، وكان في مرضٍ وكان في داءٍ عظيم.

وكذلك يزجر القرآن المؤمن الصادق عن جميع الأفعال المذمومة التي به فساد حياته؛ لأن من فسد دينه فسدت حياته، فلا حياةً للإنسان إلا بالدّين الصحيح، إلا بتوحيد الله ﷻ، إلا بأن يكون عبدًا لله، إلا بأن يكون ذليلًا لله، والله ما أعزَّ إلا من ذلَّ لله، والله ما أفلح إلا من سلَّم قياده لله؛ فكان عاملًا بهذا الدين، يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ووالله! ثم والله! ثم والله! لو أدرك المؤمنون ما في قراءة القرآن بالتدبُّر، لما تركوا ذلك أبدًا. قراءة القرآن بالتدبُّر حياةٌ وغذاء، قراءة آية بتفكُّرٍ وتفهُّم خيرٌ من قراءة ختمةٍ من غير تفهُّم وتدبُّر كما قال العلماء، وأنفع للقلب، وأدعى لحصول كل خير.

فإذا أراد المؤمن والمؤمنة الانتفاع بالقرآن فلا يقرأه بغفلة، ولا يهذُّه هذًّا، ولا يكون همه أخر السورة، نحن نرى أقوامًا كُثر يحفظون القرآن، ويرتلون القرآن، وقُراء يقرؤون القرآن؛ لكنهم في البدع مرتكسون، بل بعضهم في الشرك واقعون ما انتفعوا بالقرآن؛ لأنهم ما قرأوه كما ينبغي.

من أراد أن يكون نفعه بالقرآن تامًّا فعليه أن يحرص بأن يُحضر قلبه عند القراءة، وأن يجاهد نفسه في دفع الغفلة عن قلبه، وليحرص على قراءته مُفسِّرا آيةً آية كما كان النبي ﷺ يقرأ، وليطرد عن نفسه أن يكون همه آخر السورة، كما قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: ((قِفُوا عَلَى عَجَائِبِ الْقُرْآنِ وَفَزِّعُوا بِهِ قُلُوبَكُمْ، وَلَا يَكُونُ هَمَّ أَحَدِكُمْ آخِرُ السُّورَةِ أَنْ يَفْرُغَ مِنْهَا))[1].

(١) انظر: الآثار لأبي يوسف، (٤٦).

وإنما يجمع المؤمن عند قراءة القرآن قلبه، ويُلقي سمعه، ويُحضر جميع جوارحه؛ لأنه يعلم أن الله يُكلِّمه بهذا القرآن؛ الله ﷻ يُكلِّمه بهذا القرآن، سبحان الله! ولله المثل الأعلى، لو أن حاكم البلاد كلَّم شخصًا منَّا فإنه والله يحرص على أن يعرف كل حرفٍ وأن يُقبل بكل جوارحه، ويستحي أن يصرف نظره ولو لحظةً واحدة، فكيف والذي يكلم الله؟! الذي يسمعك ويراك، وهو الذي خلقك، ورباك بالنِّعم؛ كيف تغفل؟ والله ﷻ يكلمك بهذا القرآن، والله إنه خطابٌ من الله بلغنا على لسان رسول الله ﷺ.

والقرآن إنما يتذكر به من فعل هذا، كما قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. نعم! والله إن ذكر القرآن، والله إن موعظة القرآن، والله إن نفع القرآن إنما هو لمن كان له قلبٌ فأحضره؛ ليس القلب هو القلب الغافل، وإنما هو القلب الحاضر، وكان له سمعٌ فألقاه، وكان شهيدًا لا يشتغل عن القرآن بشيء، من فعل هذا تدبَّر وتفكَّر، وهذا ما ينبغي أن نربيَّ أبناءنا وبناتنا عليه.

من أخطاء المحفِّظين: أن بعضهم لا يهتمون بآداب التلاوة عند التحفيظ، وإنما أن يحفظ الطالب الجزء المقرر، وقد يكون الطالب غافلًا لاهيًا ساهيًا من الأدب، ومما ينبغي على المحفِّظ أن يحرص على أن يُعلم الطلاب أنهم عند التلاوة يُحضرون قلوبهم، ويُلقون أسماعهم، ويشهدون تلاوة القرآن بكل جوارحهم؛ فهذا شرط التأثر بكلام الله ﷻ.

فإذا حصل هذا، كان القرآن مؤثِّرًا؛ لأن المحل كان قابلًا وهو القلب الحي، ولأن الشرط كان حاصلًا وهو الإصغاء والتدبُّر، ولأن المانع كان منتفيًا وهو الاشتغال والذهول عن القرآن، فإذا حصل هذا تم الانتفاع، وحصل تمام الانتفاع.

فيا عبد الله! يا أختاه! إن خير طريقٍ يسلكه المؤمن أن يتلوَّ القرآن، وأن يجمع فكره وقلبه على تدبُّره، وتعقُّله؛ فإن هذا هو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا تفهُّم ولا تدبُّر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، إنه والله مبارك، إنه مبارك وما أُجتلبت البركة بمثل تلاوة القرآن الكريم، بركةٌ في النفس، بركةٌ في الأهل، بركةٌ في البيت، بركةٌ في الوقت؛ لمن تلا كتاب الله بتدبُّرٍ وتفكُّر، هذه البركة إنما تحصل لمن يتدبَّرون آيات الله، ويتذكرون بآيات الله ﷻ، وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]؛ فالله ﷻ أنكر على الذين يسمعون القرآن بلا تدبُّرٍ فلا ينتفعون به.

وقال رسولنا ﷺ: ((سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كُشْرْبِهِمُ اللَّبَنَ))[٢] رواه الطبراني، وذكره الألباني في الصحيحة، النبي ﷺ ذكر هذا مُحذِّرًا من هذه الحال: ((سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كُشْرْبِهِمُ اللَّبَنَ))، إذًا ما كان هذا في أمة محمد ﷺ! ما كان هذا شأن الصَّحابة رضوان الله عليهم! وإنما سيأتي أقوامٌ يقرأون القرآن يشربونه كشربهم اللبن.

والمعنى: يسرقونه بألسنتهم لا يجاوز تراقيَهم، لا يتدبرون معانيه، ولا يتأملون في أحكامه، ولا يعملون بحكمه، بل يمر على ألسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة. من وضع اللبن في فمه فإنه لا يبقى، بل يمر سريعًا، وهكذا هؤلاء القوم يمر القرآن على حناجرهم لا يُجاوز تراقيَهم، وقد خرج أولئك القوم وهم الخوارج، والخوارج سيبقون في هذه الأمة، لكنهم بحمد الله لايظهرون وينتصرون، وإنما كما أخبر النبي ﷺ في قوله: ((يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ))، قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كُلَّمَا ظَهَرَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ

(٢) رواه الطبراني في معجمه، برقم: (٨٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٣)، والصحيحة (١٨٨٦).

مِنْ عِشْـرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِـهِمُ الدَّجَّالُ))[٣]؛ يعني: حتى يكونوا في آخر الزمان من جيش الدجال، رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

هذا الحديث يدلنا على: أن الخوارج هم زاد كل فتنة عبر الأزمان، وهم مع أهل الفتن، ومع أهل الشرور حتى يكونوا مع الفتنة الكبرى مع فتنة الدجال في آخر الزمن، الشاهد: أنهم نشءٌ يُنَشَّؤون على هذه الطريقة التي ليست نافعة، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وروي عن علي ﷺ أنه قال: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفِقْهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مَكْرَ اللَّهِ، وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ إِلَى غَيْرِهِ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ، وَلَا خَيْرَ فِي فِقْهٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ))[٤] رواه أبو داود في الزهد، والدارمي، وقد رُوِي مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وقال الألباني عن المرفوع: منكر، ورُوِي موقوفًا على علي ﷺ، وقال الألباني: هو أشبه.

ولا شك أن هذه الجمل العظيمة معانيها صحيحة، وينبغي لطالب العلم أن يُراجعها، وأن يجعلها شعارًا له في سيره إلى الله، وفي سيره في مُخاطبة النَّاس، وفي سيره في طريق طلب العلم؛ فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل له، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإن التدبُّر يُطلع العبد على معالم الخير، وعلى معالم الشر، وعلى كل خير، ويثبِّت قواعد الإيمان، ويُشيِّد البنيان، ويوطِّد الأركان، وتحصل به كل معرفة.

فحقيقٌ بك أيها المسلم! وحقيقٌ بك أيتها المسلمة! يا من ينصح لنفسه؛ حقيقٌ به أن يُنفق ساعات عمره، بل أن ينفق أنفاسه في فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين،

(٣) رواه ابن ماجة، برقم: (١٧٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، برقم: (٢٤٥٤).

(٤) رواه أبو داود في الزهد، برقم: (١٠٤).

وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن بتفهُّمٍ، وتدبُّرٍ، واستخراجٍ لكنوزه ودفائنه، وصرفٍ للعناية به، ورفعٍ للهمة في تلاوته حتى تبلغ القمة؛ فأعلى ما في همة الإنسان أن يقرأ القرآن.

هذا أيها الإخوة! دلَّت عليه الأدلة، وقرره علماء الملة، وأكثر ما ذكرته لكم إنما هو مقتنصٌ من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله ﷻ رحمةً واسعة.

وقد أحسن الإخوة والأخوات! القائمون على تنظيم هذه الدورات في جمعية أمير المؤمنين النسائية، ومن يُساعدهم؛ أحسنوا بإطلاق سلسلة محاضرات: «**أفلا يتدبَّرون القرآن**».

وما أحرانا أن نعتني بهذا، وما أحوجنا إلى أن نعيد الأمة إلى هذا المنهج؛ منهج صحابة رسول الله ﷺ في تدبُّر القرآن.

وإني في هذا المقام لأشكر لسمو الشيخة -فاطمة آل نهيان- حرم سمو حاكم عجمان على عنايتها بالتعليم عمومًا، وبالقرآن خصوصًا، وعلى عنايتها على الانتقال في العناية بالقرآن من مجرد التلقي إلى التلقي والتدبُّر.

وأن يُنتقل بِحلق التحفيظ من مجرد التلقين إلى التدريب على التدبُّر مع التلقين، وإني لأبشرها بالخير، ولتبشر بخير؛ فإنها سائرةٌ على طريق الجنة، على طريق العارفين قدر هذا القرآن الكريم.

وأسأل الله ﷻ أن يجزيها خير الجزاء، وأن يثبتها وأن يزيدها خيرًا، وأن يُعين كل القائمين على تعليم الناس على العناية الحقيقية بالكتاب والسنة، وعلى طُرق الانتفاع بالكتاب والسنة.

❁ وقبل أن أشرع في المقصود وهو: «وقفات مع سورة الكهف»، أشير إلى ركائز في التدبُّر لابد من معرفتها:

الركيزة الأولى: من أراد حياة قلبه، وبركة وقته وعمره فعليه أن يتدبَّر القرآن، وأن يُكثر التضـــرُّع للرحمن، وأن يجاهد نفسه في ترك الذنوب والعصيان.

والله! ما حصلت الحياة إلا بهذا، وما حصلت البركة إلا بهذا، أمورٌ ثلاثة:

١. أن يتدبَّر العبد القرآن.
٢. وأن يكثر التضرع للرحمن.
٣. وأن يجاهد نفسه في ترك الذنوب والعصيان.

يقول ابن القيم رحمه الله ﷻ: ((مفتاح حياة القلب تدبُّر القرآن، والتضـــرُّع بالأســـحار، وترك الذنوب))[٥] وجرب هذا وســـتجد كيف هي الحياة! احرص على أن تقرأ القرآن كثيرًا بتدبُّر، وعلى أن تقوم في آخر الليل وتصلي لله، وتدعو الله، وتتضرع لله بالأسحار، وجاهد نفسك على مُغالبة الشهوات والشبهات، وستجد كيف هي اللذة، والله هي لذة الحياة! والله هي متعة الدنيا! والله هي جنة الدنيا! من دخلها تنعَّم بالدنيا حقيقة وإن كان فقيرًا، ويقوده ذلك إلى أن يكون من أهل الجنة.

الركيزة الثانية: تدبُّر معاني القرآن على نوعين، لا بد من معرفتهما؛ لأن الخلط بينهما يضر.

- **النوع الأول:** تدبُّرٌ يحصـــل به فهم المعنى، والاهتداء بالقرآن، والاتعاظ بالقرآن، وظهور الحُجَّة، وهذا ممكنٌ لكل أحد؛ لكل كبيرٍ وصغير، لكل ذكرٍ وأنثى، بل ومطلوبٌ شرعًا من كل أحد.

(٥) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، (٦٩).

وإذا أشكل على المتدبِّر للقرآن شيءٌ من المعنى فإنه يرجع إلى كتابٍ من الكتب المعتمدة في التفسير ومن ألطفها، وأقربها، وأسلمها، وأحسنها: «تفسير السعدي رحمه الله رحمةً واسعة»؛ فجميلٌ أن يضع تفسير السعدي بجواره ويقرأ القرآن ويتدبَّر، وإذا أشكل عليه المعنى رجع إلى التفسير.

- **والنوع الثاني**: تدبُّرٌ يحصل به فهم دقائق المعاني، وبناء الأحكام على الأدلة، وهذا له شروطٌ لابد من توفرها، فليس لكل أحدٍ أن يُقحم نفسه في هذا الباب، ويتكلم في الأحكام الفقهية ونحوها بناءً على تدبُّره هو، مع عدم توفر الشروط فيه.

✍ **الخلط بين هذين النوعين** ضارٌ؛ لأن من الناس من ترك التدبُّر، وقال: لا! أنا لا أتدبَّر؛ بل أقرأ هكذا هذًّا؛ لأن التدبر لا بد له من شروط، وهذه الشروط ليست متوفرةً فيه.

ومن الناس من جعل نفسه عالمًا وهو عامي فيتدبَّر القرآن، ويقول: العلماء أخطأوا في هذا؛ لأنهم قالوا كذا والقرآن يدل على هذا، وهو لا تتوفر فيه الشروط.

❁ **نحن نقول إن التدبُّر نوعان:**

١. نوعٌ لا تُشترط فيه هذه الشروط؛ وهو المطلوب منا جميعًا.

٢. ونوعٌ تُشترط فيه هذه الشروط؛ وهو المطلوب من أهل الاجتهاد، وأهل العلم، وأهل البصيرة.

الركيزة الثالثة: تدبُّر القرآن على طريقتين:

الطريقة الأولى: تدبُّرٌ لكليات السورة، ولعددٍ من الآيات بحيث يُعرف القاري مقاصد السورة الكلية، ويأخذ من مجموع الآيات هِداياتٍ تتعلَّق بتلك الآيات.

هذا تدبُّرٌ كلي -يا إخوة- هذه الطريقة في التدبُّر نافعة جدًّا؛ أن يعرف الإنسان مواضيع السورة الكلية ومقاصد السورة الكلية، وكليات الآيات في الدلالات والهدايات.

والطريقة الثانية: تدبُّرٌ جزئي لكل آية، بحيث يفهم معناها، ويسترشد بهُداها.

والكامل في التدبُّر من سار على الطريقتين، وحرص على الأمرين، وأنا في هذه الدورة -إن شاء الله- أحاول أن أجعل هذه الدورة تدريبًا على الطريقتين، وهذا من أهدافنا في هذه الدورة: التدريب على طريقتي التدبُّر للقرآن.

الركيزة الرابعة: مهما تدبَّرت القرآن، وكررت تلاوته فإنك لن تملَّ من ذلك، ولن ينقطع تدبُّرك، ولن تشبع من ذلك، وكلما قرأت القرآن بتدبُّرٍ ظهرت لك أنوارٌ جديدة، وانكشفت لك حِكمٌ ومعانٍ جديدة؛ فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه المؤمنون أصحاب القلوب الطاهرة، والله! كل كتابٍ تقرأه لو كررته مرتين ثلاث مرات تمل منه، بل تُصبح عارفًا ما فيه، ليس هناك شوقٌ لقراءته، أما القرآن كلما تلوته كأنك تتلوه لأول مرة.

الحافظ للقرآن وهو حافظٌ للقرآن كلما قرأ القرآن كأنه يقرأه لأول مرةٍ في حياته؛ إن كان يقرأه على طريقةٍ صحيحة، وكلما تدبَّرت القرآن ستجد فوائد، لا تستطيع أن تقول: خلاص أنا تدبَّرت وانتهى! والله الذي لا إله إلا هو، لو تدبَّرت سورةً كل يوم لما انقطع التدبُّر، ولما شبع قلبك من التدبُّر؛ بل كلما تدبَّرت كلما جُعت إلى التدبُّر أكثر، وأحسست بحاجتك إلى التدبُّر أكثر.

يقول عثمان ﷺ وهو المعلَّق قلبه بالقرآن، الذي كان يُكثر تلاوة القرآن، ولا يشغله عنه شاغل، حتى أنه ﷺ وأرضاه عندما علم أن أولئك الكلاب الذين خرجوا عليه سيقتحمون بيته في ذلك اليوم، شدَّ عليه سراويله ﷺ حتى لا ينكشف إذا قتلوه، هذا الحيي الذي تستحي منه الملائكة، ويستحي منه رسول الله ﷺ، شدَّ سراويله ثم بسط قرآنه، وأخذ يقرأ، حتى عندما دخلوا البيت كان

يقرأ القرآن، وقُتل رضي الله عنه وأرضاه وهو يقرأ القرآن، يقول عثمان ﷺ: ((لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٦] رواه أحمد في فضائل الصحابة، ورواه أبو نُعيم في الحلية بلفظ: ((لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ وَلَا لَيْلَةٌ إِلَّا أَنْظُرُ فِي كَلَامِ اللَّهِ)) رضي الله عنه وأرضاه، وصدق والله، والله! لو طهُرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا ﷻ، ولكان الواحد منا يحب أن يقرأ في القرآن أعظم من حبه لكنوز الدنيا؛ فإنه والله أغلى من كنوز الدنيا، وأحلى من كل حلوٍ في الدنيا، وألذ من كل لذيذٍ في الدنيا.

الركيزة الخامسة: من علامات خطأ التدبُّر القطعيَّة: أن يقود إلى التشكك في القرآن، أو إلى ظنِّ الاختلاف في القرآن، فإذا كنت تتدبَّر، ورأيت أن طريقتك قادتك إلى شكٍّ في القرآن فاعلم أنك أخطأت التدبُّر، وأن طريقتك في التدبُّر ليست صحيحة؛ فإن التدبُّر الصحيح ولابد، يقود إلى زيادة اليقين في إحكام القرآن، يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدوا فيهِ اختِلافًا كَثيرًا﴾[النساء: ٨٢]؛ لا اختلاف في القرآن يقينًا، ولا في حرفٍ واحد، بل هو محكمٌ يشدُّ بعضه بعضًا في المعاني، ولا يغني فيه لفظٌ عن لفظ، ولا يُستغنى منه عن حرف، فإذا كنت تتدبَّر؛ لأن بعض الناس يقول: أنا أقرأ القرآن بتدبُّر وتراه يورث له شكوكًا؛ هذا في الحقيقة أخطأ في التدبُّر، فينبغي عليه أن يعالج طريقته في التدبُّر، وألا يستمر في هذه الطريقة الخاطئة التي تثمر ما لا يثمره التدبُّر الصحيح.

هذه الركائز من الأهمية بمكان في باب تدبُّر القرآن، ولذلك أحببت أن أقدمها بين يدي موضوعنا لنستفيد منها جميعًا بإذن الله في تلاوتنا للقرآن، وفي تدبُّرنا للقرآن.

(٦) رواه أحمد في فضائل الصحابة، برقم: (٧٥٧).

أيُّها الإخوة والأخوات! موضوعنا في هذه الدورة في ضمن سلسلة: «**أفلا يتدبَّرون القرآن**» عن وقفات مع سورة الكهف؛ وأنعم به من موضوع، ما أجمله وما أكمله، وما أحلاه وما أنفعه.

سورة الكهف: سورةٌ مكيَّة باتفاق العلماء، إلا الآيات الأول وقع فيها اختلاف: هل هي مكيَّة أو مدنيَّة؟ والأكثر على أنها مكيَّة وهو الراجح؛ فسورة الكهف سورةٌ مكيَّة، ولا يغيب على شريف علمكم جميعًا أن موضوعات السور المكيَّة تتركَّز على توحيد الألوهية، والإيمان باليوم الآخر غالبًا، وعلى الدعوة إلى الله، وعلى براهين صدق رسول الله ﷺ.

السور المكيَّة غالبًا في المواضيع تدور على هذه الأمور الأربعة:

١. **على الإيمان بالله**، ولا سيما ما يتعلَّق بتوحيد الألوهية؛ لأنه الذي خالف فيه المشركون؛ المشركون ما خالفوا في توحيد الربوبية! وأنكروا بعض أسماء الله، ولكنهم خالفوا في توحيد الألوهية، وهالهم أن يقول الرسول ﷺ: لا إله إلا الله.

٢. **والأمر الثاني: الإيمان باليوم الآخر**؛ لأن المشركين كانوا ينكرون البعث والجزاء والحساب.

٣. **والأمر الثالث: الدعوة إلى الله**؛ لأن الذي كان في وقت كون المسلمين في مكة هو الدعوة إلى الله، ما شُرع الجهاد، وإنما كانت الدعوة إلى الله فكان يُبيَّن فضلها وأصولها.

٤. **والأمر الرابع**: صِدق رسول الله ﷺ؛ لأن المشركين مع كونهم كانوا يشهدون لرسول الله ﷺ بالصدق قبل أن يبعثه الله، صاروا يُكَذِّبون رسول الله ظلمًا وعدوانًا بعد أن بعثه الله.

ومن طرق تحقيق هذه المواضيع الأربعة: القصص الحق؛ الذي جاء في القرآن؛ فإن فيه بيان توحيد الألوهية، وفيه دلالاتٍ على اليوم الآخر، وفيه بيانٌ للدعوة إلى الله، وفيه براهين على صدق رسول الله ﷺ؛ فالرسول ﷺ جاءهم بالقصص الحق ولم يكن قصاصا، وجاءهم بالقصص بأساليب

عجزوا عن أن يأتوا بمثلها مع أنهم أهل قصـــص، وأهل بلاغة في هذا الباب، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بمثل القصص التي جاء بها رسول الله ﷺ.

وسـورة الكهف يحتاج المؤمن أن يقرأها في كل أسـبوع، في كل أسـبوع يحتاج أن يسـتضـيء بها، فالمؤمن الموفق لا يُخلي أسبوعه من قراءة سـورة الكهف، والسنَّة والمشـروع للمؤمن أن يقرأها في يوم الجمعة.

❖ إذًا من فضائل هذه السورة:

- أن المؤمن بحاجة إلى أن يقرأها في كل أسـبوع، كل مؤمن وكل مؤمنة بحاجة إلى قراءة سـورة الكهف في كل أسبوع، وشُرع للمؤمن والمؤمنة أن يتقرَّب إلى الله بقراءتها في يوم الجمعة.
- وسورة الكهف نورٌ للمؤمن؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ سُـــورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْـــرِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يَضُرُّهُ))[٧] رواه الطبراني، وصححه الألباني.
- من قرأ سـورة الكهف كانت نورًا يوم القيامة، حيث يحتاج الإنسـان إلى النور، ويعطى الناسُ أنوارهم بحسب إيمانهم، ويتفاوت الناس في ذلك النور.
- من قرأ سورة الكهف يُعطى نورًا من مقامه إلى مكة؛ وهذا نورٌ عظيم، والنور يوم القيامة نورٌ في الدنيا، سورة الكهف نور للمؤمن في الدنيا ونورٌ له يوم القيامة.
- ومن قرأ بعشر آياتٍ من آخرها ثم خرج الدجال لم يضرَّه، هذا سيأتي لاحقًا إن شاء الله.

(٧) رواه الطبراني في الأوسط، برقم: (١٤٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٢٢٥).

وعند النسائي في الكبرى، والحاكم وصححه عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ))[٨]، وانظر القيد ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ))؛ فقرأها بتلاوة كما كان النبي ﷺ يتلوها على أصحابه، وكان قصده وجه الله، وتدبَّر هذه السورة؛ لأنها للتدبُّر أنزلت كانت له نورًا من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آياتٍ من آخرها فخرج الدجال لم يُسلَّط عليه؛ يعني أمن فتنة الدجال ولم يُسلَّط عليه الدجال، وقال الألباني عن هذا الحديث: صحيحٌ لغيره.

وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال، -الْحَظْ الآن هذا موقوف؛ الأول مرفوع وهذا موقوف-، قال: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةُ الْكَهْفَ كَمَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الدَّجَّالِ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، أَوْ: لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ))[٩] رواه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ))[١٠] رواه الحاكم، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

فقراءة سورة الكهف نورٌ للمؤمن في الدنيا، ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ)) من فجرها إلى غروبها ((أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ))، فتكون نورًا للمؤمن في أسبوعه، وإذا كانت نورًا له كانت نورًا لبيته، وكانت نورًا لحياته.

وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))[١١] رواه البيهقي.

---

(٨) رواه النسائي في السنن الكبرى، برقم: (١٠٧٢٢).

(٩) رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (٨٥٦٢).

(١٠) رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (٣٣٩٢).

(١١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (٢٢٢٠).

انظر! النور جاء في الزمان، وجاء في المكان: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ))، هذا من جهة الزمان، وكان هذا النور طويلًا مُمتدًا ما بينه وبين البيت العتيق.

وجاء ذلك موقوفًا وله حكم الرفع، فعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ))[١٢] رواه نُعيم ابن حماد في الفتن.

وعن أبي سعيدٍ ﷺ قال: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ))، والحظوا هذه فيها فائدة زائدة، وأشار إليها شيخنا الشيخ ابن باز ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))[١٣] رواه الدارمي بإسنادٍ صحيح، وقلنا: الموقوف هذا لا شك له حكم المرفوع، فإنه لا يُقال بالرأي.

➢ **هذه الرواية أفادتنا**: أن قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة يحصل بها النور، الرواية السابقة يوم الجمعة، واليوم من الفجر إلى الغروب، وهذه الرواية ليلة الجمعة، والليلة من الغروب إلى الفجر، فمن قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة حصَّل هذا الفضل؛ لكن الأفضل والأحوط أن يقرأها في اليوم، فإن كثيرًا من أهل العلم ذكروا هذا، لكن من قرأها في ليلة الجمعة فإنه يحصُل له ذلك الفضل لصحة هذا الأثر.

وعن أبي سعيد الخُدري قال: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)) وهذا أيضًا موقوف، رواه البيهقي، قال الألباني ﷺ عن الموقوف: في حكم المرفوع؛ لأنه لا يُقال بمجرد الرأي كما لا يخفى.

---

(١٢) رواه نُعيم ابن حماد في الفتن، برقم: (١٥٧٩).

(١٣) رواه الدارمي في سننه، برقم: (٣٤٥٠).

إذًا من فضائل سورة الكهف: أنها نورٌ للمؤمن؛ نورٌ له في دُنياه، إذا قرأها يوم الجمعة، أو قرأها ليلة الجمعة، والأفضل أن يقرأها في يوم الجمعة، ونورٌ له يوم القيامة يُعطاه ويُؤتاه لقراءته سورة الكهف.

ومن فضائل سورة الكهف ومقاصدها الكلية: أنها عصمة من الفتن.

❐ **والقاعدة الكلية:** «أن أعظم أسباب العصمة من الفتن: قراءة القرآن بتدبر، وفهم القرآن بفهم صحابة رسول الله ﷺ».

وإنما ينغمس في الفتن من أعرض عن القرآن، أو أعرض عن تدبر القرآن، أو أعرض عن فهم الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن، ولذلك جاء في وصف الخوارج -كما تقدم- جاء في وصفهم أنهم ((يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ))[١٤]، ومن وصفهم أنه ليس منهم ولا معهم أحد من صحابة رسول الله ﷺ.

ولسورة الكهف خاصية في هذا الباب، فقد جاء عن عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[١٥] رواه مسلم، والحفظ هنا فسره بعض أهل العلم: بالحفظ المعروف، وفسره بعض أهل العلم: بالقراءة وإدامة القراءة، وقال النبي ﷺ عن الدجال: ((فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ))[١٦]، جاء عن النواس بن سمعان أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: ((إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ،

(١٤) رواه مسلم، برقم: (٨٢٢).
(١٥) رواه مسلم، برقم: (٨٠٩).
(١٦) رواه مسلم، برقم: (٢٩٣٧).

كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ))[١٧]، وفي رواية: ((فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ))[١٨].

فقراءة أوائل سورة الكهف عصمة من فتنة الدجال، وقد جاء في رواية عند مسلم أنها العشر الآيات من آخر سورة الكهف، وتقدم معنا في حديث أبي سعيد ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفَ كَمَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الدَّجَّالِ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ))، وفي رواية: ((وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يَضُرُّهُ)).

فهذه السورة فيها عصمة من أعظم الفتن -من فتنة المسيح الدجال-، قال الشافعي ﷺ: ((وَبَلَغَنَا أَنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ وُقِيَ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، وَأُحِبُّ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَنَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَتِهَا أَشَدُّ اسْتِحْبَابًا، وَأُحِبُّ قِرَاءَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمَهَا لِمَا جَاءَ فِيهَا))[١٩].

وقال إسحاق بن إبراهيم خرجت مع أبي عبد الله؛ -يعني: مع الإمام أحمد ﷺ-، إلى الجامع؛ يعني في يوم الجمعة، قال: ((فسمعته يقرأ سورة الكهف)).

وقال ابن تيمية ﷺ: ((قِرَاءَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا آثَارٌ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ))[٢٠].

ومن هنا من كل ما تقدم، يظهر للمؤمن أهمية تلاوة سورة الكهف في يوم الجمعة، وما أجمل، وما أكمل، وما أحلى أن يحفظ المؤمن والمؤمنة هذه السورة لما فيها من الخيرات والبركات، وحتى يتمكن

(١٧) رواه مسلم، برقم: (٢٩٣٧).
(١٨) رواه أبو داود في سننه، برقم: (٤٣٢١).
(١٩) انظر: الأم الشافعي، (٢٣٩/١).
(٢٠) انظر: مجموع الفتاوى، برقم: (٢١٥/٢٤).

من تلاوتها ولو كان في مكان يصعبُ عليه أن يقرأ، كما لو كان في السيارة ونحوها، كما تظهر أهمية إدمان قراءتها، وتدبرها واستخراج حِكَمِها، واكتشاف أنوارها.

ونحن سنقف وقفات تدبرية مع هذه السورة الكريمة، وسنسير على الطريقتين المتقدمتين المذكورتين في المجلس الأول في تدبر القرآن:

- طريقة التدبر الكلي.
- وطريقة التدبر الجزئي.

وكما أسلفت سنحاول أن نجعل ذلك تدريبًا على تدبر القرآن تدبرًا سليمًا، وسنشرك الإخوة والأخوات في ذلك ولذلك أطلب من الإخوة والأخوات ممن يحضرون، وممن يتابعون عن بعد، أطلب منهم كتابة وقفة تدبرية واحدة من سورة الكهف وصياغتها صياغة طيبة فيما لا يزيد على ثلاث أسطر مع كتابة الاسم ونوع المشاركة في الدورة هل هو حضوري، أو عن بعد، ثم يرسلها على رابط الأسئلة المعلن، وسأرجعها إن شاء الله ﷻ، وفي حال طباعة مادة هذه الدورة سأضيفها في ملحقٍ للكتاب باسم باعثها؛ لكي أشرف بوجود أسماء إخواني في كتاب يحمل اسمي إن شاء الله ﷻ، ولو تيسر لنا وقت في آخر هذه الدروة إذا أتممنا المقصود قبل مجلس ما بعد العشاء في ليلة الغد، سنذكر بعض هذه الوقفات إن وردتنا، والمقصود من هذا أن نتشارك وأن نتدرب على التدبر المقصود.

❁ **ونبدأ بالتدبر الكلي لسورة الكهف:** والتدبر الكلي يكون بإعمال الذهن في معرفة موضوعات السورة الكلية، ومقاصدها الكلية، وربط ذلك بآيات السورة، **ولنا مع هذا وقفات.**

١. **الوقفة الأولى من مقاصد سورة الكهف:** بيان أن الله خلق الإنس ليبتليهم، فلا بدَّ للإنسان من ابتلاء ولن يترك الإنسان بلا ابتلاء، كما قال الله ﷻ: ﴿الم(١)أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد: ٣١]. وأشار الله ﷻ إلى هذا المقصد العظيم في سورة الكهف في قوله ﷻ في الآية السابعة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

◈ **فالحياة الدنيا كلها بما فيها ابتلاء:**

- فيبتلي الله ﷻ الناس بالناس، كما قال ربنا ﷻ:﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

- ويبتلي الله ﷻ الناس بأموال إعطاءً وحرمانًا قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

- ويبتلي الله ﷻ الناس بالخير والشر قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

- ويبتلي الله ﷻ العباد بمقولاتٍ لشياطين الإنس والجن قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].
- ويبتلي الله ﷻ العباد بالنعم والضرَّاء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩].

وإذا أدرك المؤمن أن الله يبتليه بما في الدنيا وما على الأرض، فإنه يُركز على إحسان العمل، ويدرك يقينًا أن طيب الحياة الدنيا من حيث هي دنيا؛ إنما هو مكمل وليس أصلا، فيصبر على طاعة الله، ويصبر عن معصية الله، ويصبر على أقدار الله.

❁ وهذه السورة جاءت فيها أنواع من الابتلاءات، ففي قصة الكهف:

- ابتلاء الناس بالناس.
- والابتلاء في الدين.
- والابتلاء بكثرة المخالفين للهدى، ليتبين من يتمسكوا بالحق؛ لأنه الحق، ومن يطيع أكثر الناس ويسير مع أكثر الناس، فأهل الكهف إنما هم فتية وهذا جمع قلة يدل على أنهم لا يزيدون على تسعة، عرفوا الحق والتوحيد، وخالفوا قومهم في هذا حيث كان قومهم من المشركين، وأدركوا أن الكثرة ليست علامةً على الحق، وإنما العبرة بالسلطان البيّن والبرهان الظاهر؛ وهذه قضية مهمة جدًّا، الناس من حيث هم سواء كانوا كثرةً، أو قلة ليسوا علامةً على الحق؛ وإنما العلامة على الحق السلطان البيّن والحجة الظاهرة؛ فمن كان معه السلطان والبرهان والحجة الظاهرة فهو الأمة ولو كان واحدًا.

كثير من الناس اليوم يقولون: إن العقيدة الفلانية عليها أكثر المسلمين؛ فهذا يدل على أنها صواب! لا والله ما هذا بدليل؟! بعض الناس إذا ذكرت له الحزبيين قال: إن أكثر المسلمين يحبونهم وأكثر المسلمين معهم، وأكثر المسلمين لا يرضون بكلامكم هذا، وهذا دليل على أنهم على الحق وأنكم على الباطل، لا والله ما هذا بدليل؟!

الدليل هو السلطان البيّن والبرهان الظاهر، قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكَهفِ: ١٣- ١٥].

إذًا الفتنة بالناس، والفتنة بكثرة المخالفين، والفتنة في الدين إنما السلامة فيها أن تلزم الحجة، وأن تلزم السلطان الظاهر والبرهان البيّن.

- وفي قصة أهل الكهف الابتلاء بفضول العلم الذي لا يزيد إيمانًا، ولا يجلب خيرًا دنيويًا، العلم المتصف بهاتين الصفتين أنه لا يزيد الإيمان، ولا يجلب خيرًا دنيويًا هو من فضول العلم، وقد يُبتلى به الإنسان، وقد يعجب الناس، ويلهون به عن العلم النافع، والعلاج والنجاح في هذا الابتلاء في عدم الانشغال به عن مهمات العلم الشرعي والدنيوي النافع.

قال تعالى في الآية الثانية والعشرين: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

فمع أن الله ﷻ علمنا عددهم بأن قال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ولم يقل رجمًا بالغيب كالذي تقدم، فعلمنا أن هذا هو العدد، ومع ذلك قال الله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا

﴿تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾، فالاشتغال بعدد أهل الكهف ليس فيه فائدة، بل من فضول العلم البعيد والطريق المسلوك في مثل هذا: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ فلا يشتغل الإنسان إلا بعلمٍ مبنيٍّ علي دليله وبما ينفع ما ينفع، علم مبني على الدليل وبما ينفع.

بل الأمر –يا أحبة– أبعد من قضية العلم، وأعم من ذلك؛ فهو منهج حياة؛ أن الإنسان لا يشغل نفسه وفكره وقلبه بما ليس بثابت ولا نافع، منهج حياة أكثر ما يضر الناس ويشغلهم عن مصالحهم اشتغالهم بما لا يعنيهم، أو اشتغالهم بما لا ينفعهم، أو اشتغالهم بما لا يرجع إلى برهان يمكن إثباته، فمنهج الحياة أن تبعد نفسك عن هذا، وألا تشتغل بمثل هذا.

- وفي سورة الكهف ابتلاء الإنسان بزينة الدنيا، من مال أو جاه في مقابل الكينونة مع الصالحين، **فيكون الإنسان بين طريقين:**

١) إما أن يختار زينة الدنيا وأهلها وما فيها.

٢) وإما أن يكون مع أهل الصلاح والهداية.

نفسه ستتوق إلى الدنيا فيبتلى بهذا، والنجاح في هذا الابتلاء يكون بالكينونة مع أهل الصلاح؛ فمن كان معهم ارتاح قلبه، واستقام حاله، وحسن سيره إلى الله، الصالحون إن جالستهم انتفعت؛ وإن غفلت ذكروك؛ وإن عزمت على خير أعانوك، فالكينونة معهم خير من زهرة الدنيا، وخير مما في الدنيا.

قال الله ﷻ في الآية الثامنة والعشرين: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف: ٢٨]، والإنسان في الدنيا لا بد له من صاحب، والصاحب ساحب والمصادق موافق؛ وفي هذه الآيات مقومات اختيار الصديق.

۞ كيف أختار صديقي؟ هذه المقومات:

١. أن يكون مستقيمًا على دينه.

٢. موحدًا لربه.

٣. وطائعًا لربه بإخلاص.

٤. وألا يكون متبعًا لهواه، وجاريًا وراء مشتهاه.

٥. وألا يكون ضائعًا خليًّا من خيري الدنيا والآخرة.

هذه مقومات اختيار الصديق التي دلت عليها هذه الآيات.

وفي قصة الرجلين- لاحظوا أنا لا زلنا في الأمر الكلي وهو موضوع الابتلاء-، في قصة الرجلين الابتلاء بالدنيا، وما يرزقه الإنسان فيها بفضل الله ما أثره عليه؟ هل يتواضع عند ذلك ويعرف ويوقن أن الفضل لله؛ وأنه لولا الله ما رزق؟ مهما كان ذكيًّا، ومهما كان شريفًا؛ أم أنه والعياذ بالله يغتر بذلك، ويعجب بزهرة الدنيا، ويتكبر وينسب حصول ذلك لعلمه، أو ذكائه، أو مهارته؛ وفيها بيان عاقبة هذا وهذا، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا)٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤]، فاغتر، وتكبر، وتجبر، ولم يتواضع، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦]؛ يعني: لئن رددت إلى ربي كما تزعم؛ فإني سأجد خيرًا من هذا الذي في الدنيا اغترارًا بنفسه.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٧-٣٩]، أرشده إلى طريق الصواب؛ وأن يبرأ من حوله وقوته إلا بالله سبحانه وتعالى، ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٣٩-٤٠]، ذكره بأن الذي رزقه هو الله، وأن الذي رزق قادر على أن يأخذ ﷻ.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤١-٤٤].

- وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام الابتلاء بالعلم، نعم! العبد قد يبتلى بالعلم قد يُبتلى بقلته، وقد يبتلى بكثرته حتى يتبين ما يفعله العبد عند قلة العلم، وما يفعله عند كثرة العلم، وهل يلزم ما يعلم؟ أو يتجاوز ذلك فيدعوه ما يعلم إلى أن يقول ما لا يعلم؟ وهذه آفة كثير من طلاب العلم إذا حصَّل علمًا قليلًا وحدَّث الناس فسأله الناس يستحي أن يقول: لا أعلم، فيبدأ يفتي برأيه لا بعلمه؛ وهذا طريق الهلاك نعوذ بالله من ذلك.

كذلك إذا حصَّل طالب العلم علمًا كثيرًا فإنه يبتلى بكثرة العلم، وهل يعجب بنفسه عند ذلك؟ أو لا؟ والطريق المسلوكة في ذلك، والنجاح في ذلك أن يحرص الإنسان على طلب العلم، وأن يعلم يقينًا أن فوق كل ذي علم عليم، وأنه مهما بلغ من العلم يوجد من هو أعلم منه فلا يُعجب بعلمه، ولا ينقطع عن طلب العلم بل يلزم المحبرة حتى يَرِدَ المقبرة.

من آفات بعض طلاب العلم: أنه إذا حصَّل شيئًا من العلم تكبر على أن يتعلم، وقال: أنا شيخ، أنا واعظ كيف أذهب وأجلس مع الطلاب؟! كيف أطلب العلم؟! وربما قال لنفسه: أنا مثل هذا الشيخ هو يُعَلِّم وأنا أُعَلِّم، فكيف أذهب وأطلب العلم؟ وطالب العلم حي ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد انتهى فقد انتهى؛ إذا ظن أنه انتهى من طريق الطلب فقد انتهى حقيقةً لا يزال.

طالب العلم بخير ما أدرك أنه بحاجة إلى أن يطلب العلم، وإذا أيقن الإنسان أنه فوق كل ذي علم عليم فإن هذا يدعوه إلى أن يطلب العلم، وأن يستمر في طلب العلم إلى أن تقبض روحه وهو طالب للعلم، ويدعوه ذلك إلى التواضع فإنه مهما بلغ من العلم فإن الذي يجهله أكثر وهناك من هو أعلم منه، كما أن في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام الابتلاء عند ملازمة العلماء، وضرورة الصبر عند التعلم، وعدم التعجل عند الطلب حتى يبين الشيخ للطالب.

طالب العلم بحاجة شديدة للصبر أن يصبر على الطريق فالعوائق كثيرة، وأن يصبر على الحضور، وأن يصبر على إحضار قلبه، وأن يصبر على شيخه وألا يتعجل الأمور عند تعليم الشيخ له، بل يصبر حتى يبين له الشيخ، ومن لم يصبر حُرِم -نعوذ بالله من الحرمان-.

وفي قصة ذي القرنين وهو ملِك صالح أعطاه الله أنواعًا من العلوم التي يعرف بها نواحي الأرض، وأعطاه الله السلطة على مشارق الأرض ومغاربها، وفي قصته الابتلاء بالسلطة والمسؤولية والرعاية، هل يجتهد فيها، ويحرص على ما ينفع الرعية، وعلى ما يسعد الرعية فيكون من الفائزين ويكون ذلك سببًا لقوة سلطانه أم يكون على خلاف ذلك؟ وكلنا -يا إخوة- عندنا مسؤوليات وعندنا رعاية ونبتلى بهذا ليس الحاكم فقط الأب، والأم، والعامل، والموظف، والمدير نبتلى بهذه المسؤولية، هل نجتهد فيها، ونحاول أن نعمل الأصلح، وأن نسعد الرعية أم والعياذ بالله نغش الرعية، ولا نجهد لهم، ولا ننصح لهم؟

هذه الوقفة الأولى في التدبر الكلي فيما يتعلق بالابتلاء.

٢. **الوقفة الثانية من مقاصد سورة الكهف الكلية**: بيان أسباب السلامة من الفتن؛ ومنها: أسباب للسلامة من شرور الفتن كلها؛ فهي أسباب يُعصم الإنسان بها بإذن الله من الفتن كلها، ويسلم من شرور الفتن كلها، وأهمها أمور:

الأول: قراءة القرآن بتدبر؛ ففي ذلك إزالة الشكوك عن القلوب، وكلما أكثر الإنسان من ذلك كلما انجلت الظلمة عن قلبه، وقد تقدم معنا أن قراءة سورة الكهف فيها العصمة من الفتن المضلة.

وثاني الأسباب: اعتزال أهل الفتن، وسد طرق وصول شبهاتهم إلى قلب الإنسان؛ فلا يجالسهم، ولا يقرأ لهم، ولا يستمع لهم، كما فعل الفتية الذين آمنوا، وفي مقابل ذلك مجالسة الأخيار، والاستفادة منهم، ففي ذلك السلامة من الفتن المضلة، وحفظ البلاد من شرور الفتن، قال تعالى عن أهل الكهف أنهم قالوا: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

والسبب الثالث للنجاة من شرور الفتن كلها: اللجوء إلى الله وكثرة الدعاء والتضرع، ففي الدعاء جلب لكل خير، ودفع لكل شر، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

هذه الأسباب كما قلت أسباب للسلامة من الفتن كلها دلت عليها سورة الكهف.

ومن الأسباب ما هو سبب للسلامة من بعض الفتن؛ فمن أسباب السلامة من فتنة الاغترار بالدنيا، والكبر، التواضع؛ وأن يوطن الإنسان نفسه على التواضع، ويجاهد نفسه على التواضع، وكذلك إدراك أن القوة لله وبالله، فالله هو القوي ولا قوة لمخلوق إلا بالله ﷻ.

والأمر الرابعة: إدراك أن ما عند الله خير من الدنيا وما فيها؛ كما مر معنا في قصة الرجلين: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)

لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْـرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَـاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٧-٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٣-٤٤].

ولا زلنا مع الوقفة الثانية من وقفات التدبر الكلي لسورة الكهف ألا وهي: أن في سورة الكهف بيان أسباب السلامة من شرور الفتن.

وتقدم الكلام على أن هناك أسبابًا عامة ينجو بها المسلم بإذن الله من شرور الفتن كلها ويكون بها على الجادَّة، وأن هناك أسبابًا للسلامة من شرور بعض الفتن.

❁ فمن أسباب السلامة من الفتنة بالعلم:

أن يطلب المسلم العلم من العلماء، وأن يرجع إلى أهل العلم، وألَّا يخالف أهل العلم اغترارًا بالظواهر، وألَّا يبني علمه على عقله، وأن يصبر على ما يجده في الطريق؛ في طريق الطلب، وأن يصبر على الشيخ، وأن يصبر عن التعجُّل؛ وهذا ظاهر في قصة موسى عليه السلام وارتحاله وهو نبي الله في طلب العلم لـمَّا علم عليه السلام أن هناك رجلًا عنده من العلم ما ليس عنده ارتحل في طلب العلم، وصبر على ذلك وعلى ما وقع له مع الخضر.

❁❁❁❁

٣. **الوقفة الثالثة من وقفات التدبر الكلي لســـورة الكهف**: أن الخير كلّه في اتباع من يتبع المرسلين، ويلزم طريقهم، ويأخذ ميراثهم وهو: العلم.

فالخير في العلم والتعلم، وأن الفتن إنما يؤججها شـياطين الجن والإنس، ويصـدهم عن اتباع الحق مع ظهوره وظهور دلائله: الكبر، واتباع الشـيطان، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِـلُ الْمُرْسَـلِينَ إِلَّا مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُـــوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

٤. الوقفة الرابعة: مقومات الخير وأركانه أربعة، **مقومات الخير وما يقوم عليه الخير وأركان الخير أربعة:**

الأول: الصلاح في الدين بالتوحيد، والعمل الصالح، والاستقامة عليه.

هذا أول الأركان ورأسها وشرطها، فلا يقوم الخير أصلًا إلا بالصلاح في الدين، والصلاح في الدين إنما هو بالتوحيد، أن يوحد الله ﷻ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، ويكون بالعمل الصالح، ولابدَّ مع استقامة الدّين من استقامة على الدين، لابدَّ من أن يكون الدين مستقيمًا وأن يستقيم العبد على الدّين، فإذا استقام الدين للعبد فأخذ الدين كما جاء عن محمد ﷺ؛ فإنه لابدَّ أن يستقيم على دينه، وهذا يحتاج إلى الإيمان والهداية.

والهداية المقصود: أن يبذل الإنسان أسبابها، وأن يحرص على العمل، وأن يقدم الدين على كل شيء، إذا تحقق هذا يحصل هذا الركن العظيم، لابدَّ من الإيمان ويحتاج الإنسان إلى الهداية ويجب عليه أن يبذل أسبابها.

ومن أسبابها: طلب العلم، وأن يحرص على العمل بأن يحرص على طاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله، وإذا زلت القدم أن يبادر بالتوبة والأوبة والرجوع إلى الله ﷻ، وأن يحرص على أن يزيل سيئاته بكثرة حسناته ويحرص مع ذلك على حسن الخلقِ مع الناس كما قال النبي ﷺ: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٢١]، ولا بدَّ من تقديم الدين على كل شيء؛ وهذا ظاهر جدًّا في قصة أهل الكهف.

(٢١) رواه الترمذي في سننه، برقم: (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم: (٥٠٨٣).

والركن الثاني: المال، وحسن جمعه، وصلاح إنفاقه؛ المقوم الثاني من مقومات الخير: المال، فإن الله جعل المال قيامًا، ولا بدَّ فيه من حسن جمعه وصلاح إنفاقه، وهذا أيضًا يحتاج إلى مجاهدة النفس، فإن أثر المال في النفس عظيم، وأصعب أمر على النفس ما يتعلق بالمال وإذا جاء المال جاءت التأويلات، فيحتاج الأمر إلى مجاهدة النفس ولزوم ما يحبه الله في ذلك وهذا ظاهر في قصة الرجلين؛ -أعني هذا الركن، وهذا المقوم للخير- وهو المال بأن يجمع من حلال، وأن يحسن ويصلح في إنفاقه؛ ظاهر في قصة الرجلين.

والمقوم الثالث من مقومات الخير وأركان الخير: العلم، فالخير يحتاج إلى العلم، فإن العلم طريق معرفة الخير، والعلم يسبق الخير ويسبق القول والعمل، وهذا أيضًا يحتاج إلى التواضع، فالمتكبر يحرم من العلم، وإلى عدم الحسد حتى يطلب العلم ممن علم أنه عنده علمًا نافعًا مهما بلغ هو من العلم، وأن يدرك الإنسان أنه مهما بلغ من العلم ففوق كل ذي علمٍ عليم، وأن يُسلم طالب العلم الزمام لأهل العلم الموثوقين، وإن ظن خلاف ما يقولون، لا يزال الناس بخير ما تبعوا علمائهم فإذا اختلفوا على علمائهم دخل عليهم الشر؛ وهذا ظاهر في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام.

والمقوم الرابع والركن الرابع من أركان الخير: السلطة، فلا يقوم الخير للناس حتى تستقر حياتهم، ولا تستقر حياتهم حتى يكون لهم رأس، ويكون لهم أمير، ويكون لهم حاكم، ولذلك أجمع العلماء بل أجمع العقلاء من كل ملة على أنه يجب نصب الحاكم، وأنه لا يستقيم الخير للناس إلا بأن يكون لهم رئيس، وهذا المقوم والركن من أركان الخير متعلق بالرعية والراعي، فالراعي حتى تكون رعايته ركن للخير يجب عليه أن يجتهد في الأصلح، وأن يعمل على إسعاد الناس بما لا يضرهم، وأن يجتهد في نفع الرعية، وأن يبذل أسباب ذلك.

وأما المتعلق بالرعية فإن هذا يحتاج إلى السمع والطاعة في غير معصية الله، والحرص الشديد على حفظ هيبة الحاكم، ومعاملته بما يليق بمقامه؛ وهذا ظاهر في قصة ذي القرنين.

ففي سـورة الكهف بيان هذه المقومات للخير، وما أحوج الناس إلى أن يدركوا هذه الحقيقة، وما يحتاجه كل ركن، ولو أدرك الناس هذا الأمر لعاش الناس بخير، واندفعت كثير من الشرور.

الوقفة الخامسة من وقفات التدبر الكلي لسورة الكهف: أن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، وأن الدنيا دار ممرٍّ لا مقر، ودار تزودٍ للآخرة.

فالدنيا بزينتها كثيرة التقلب، سريعة الزوال، وزينتها لا تستقر، بل إما أن ترتحل عن الإنسان، وإما أن يرتحل عنها الإنسان، والباقي للإنسان عمله، فهو المرافق له في دنياه، والمرافق له في قبره، ويوم القيامة يُجزى به، وهو سبب لدخول الجنة أو النار والعياذ بالله، وإذا دخل الموحد الجنة بفضل الله فإن درجته في الجنة تكون بحسب عمله، والخير للإنسان فيما يرضي الرحمن من قول أو عمل، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٥- ٤٩].

لمن ينبغي لمن أراد أن يتدبر القرآن أن يمعن النظر أولًا في مقاصد السورة وفي موضوعات؛ هذه- أيّها إخوة-كليات في سورة الكهف، وكما قلت مقدمًا: ينبغي لمن أراد أن يتدبر القرآن أن يُمعن النظر أولًا في مقاصد السورة، وفي موضوعات السورة الكلية، وأن يربط ذلك بالآيات الدالة على ذلك؛ فيحصل له بذلك التدبر الكلي، وينتفع بذلك نفعًا عظيمًا، فإن أنفع ما يكون للمسلم أن يضبط الكليات، فإنه إذا ضبط الكليات سهل عليه أن يرد إليها الجزئيات.

❁ وأما التدبر الجزئي لسورة الكهف فلن نحيط بكل ما في السورة، وإنما نأخذ وقفات مع أمور من أعلى المهمات.

الوقفة الأولى: مع الحمد؛ والحمد لله يكون:

- من الله.
- ويكون من عباد الله.

- **والحمد من الله**: هو الثناء من الله على نفسه وذاته العلية بعظيم النعم، وحمد الله على نعمة يدل على عظيم وشرف وفضل تلك النعمة، وعلى عظيم أثر تلك النعمة، فإذا حمد الله نفسه على نعمة، فاعلم عظيم فضلها، واعلم عظيم أثرها، واعلم عظيم شرفها.
- **وأما الحمد لله من العبد**: فهو الثناء على الله مع المحبة والتعظيم، الحمد لله من عباد الله هو ثناؤهم على ربهم مع محبتهم وتعظيمهم فلابدَّ في الحمد من المحبة والتعظيم؛ لأن الثناء إذا خلا من المحبة والتعظيم كان مدحًا لا حمدًا، فالمدح قد لا يكون عن محبة وقد لا يكون عن تعظيم فهما يجتمعان في الثناء ويفترقان في أن الحمد لابدَّ فيه من التعظيم والمحبة، أما المدح فلا.

إذًا إذا أثنى العبد مع محبة وتعظيم فهذا حمد، وإذا خلا ثناؤه عن المحبة والتعظيم فهذا مدح، فحمدك لله هو ثناؤك عليه بهذه النعمة مع محبته وتعظيمه، وهذا ما ينبغي أن تستحضره، فإذا أكلت الأكلة فحمدت الله عليها فإن هذا يعني أن تثني على الله بهذه النعمة مع محبتك لربك وتعظيمه ﷻ، فقول ربنا سبحانه في الآية الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١]؛ ثناءٌ من الله على نفسه ﷻ بهاتين النعمتين العظيمتين: نعمة بعثة محمد عبد الله ورسوله، ونعمة إنزال القرآن، فخير رسول بعث محمد ﷺ، وخير كتاب أنزل

القرآن، والموفق من جمع نور القرآن والسنة، وحمد الله على هذه النعمة كما قال تعال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: ٦٤]، والحكمة هي: سنة رسول الله ﷺ.

إذًا العبد يحمد الله على نعمه، ويقرن هذا الحمد بالمحبة والتعظيم، وإذا حمد الله على نعمة فذاك يدل على فضلها وعظيم شرفها.

الوقفة الثانية: وصف الله القرآن بكونه مستقيمًا، وبكونه غير ذي عوج، وهذا يعني أنه يهدي إلى صراط الله المستقيم، ويوصل إلى المطلوب، وفيه الصلاح المحض، وليس فيه ما يسوء، لا في ألفاظه ولا في معانيه، فالقرآن مستقيم؛ والمستقيم: هو الموصل إلى المطلوب وليس فيه عوج.

قال العلماء: الله ﷻ وصف القرآن بهذين الوصفين، والقرآن كلامه سبحانه وتعالى؛ لأن الشيء قد يبدو مستقيمًا، لكن لو تدبر الإنسان فيه وتأمل لوجد فيه شيئًا من العوج، فلما وصف الله القرآن بكونه قيّمًا؛ أي: مستقيمًا ونفى عنه العوج، عُلم أن القرآن لا عوج فيه لا ظاهر ولا خفي، وأنه كلما تدبر الإنسان القرآن؛ كلما زاد يقينًا باستقامة القرآن.

الوقفة الثالثة: وظيفة القرآن الكريم، ووظيفة الرسول ﷺ، هي الترغيب والترهيب، هي الدعوة إلى الخير، وبيان ما أعده الله من النعم لأهل الخير، والنهي عن الشر والنِّذارة بعقاب الله لمن سلك درب الشر، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا(١)قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ١، ٢].

﴿لِّيُنذِرَ﴾؛ قال بعض أهل العلم: «هذا يرجع إلى القرآن»، وقال بعض أهل العلم: «هذا يرجع إلى عبده ورسوله ﷺ».

والقاعدة: أن ما احتمله القرآن ولا تضـاد فيه فإنه يُحمل عليه جميعًا، فهذا يرجع إلى القرآن ويرجع إلى رسول الله ﷺ.

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(٣)وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ١-٤]، والموفق من أتباع محمد ﷺ من قام بهذه الوظيفة، فكان حريصًا على الأمر بالمعروف بمعروف، وعلى النهي عن المنكر بغير منكر، كان حريصًا على دلالة الناس على الخير وترغيبهم فيه، وبيان الشر للناس وتحذيرهم منه سائرًا على طريق رسول الله ﷺ، فهذا هو سبيل رسول الله ﷺ، ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، هذه سبيل رسول الله ﷺ ووظيفة رسول الله ﷺ، والموفق من الرجال والنساء من سار على طريق رسول لله ﷺ.

الوقفة الرابعة: مقولات الكفار والملحدين مهما زخرفوها وزعموا أنهم يؤمنون بالعلم كلها كذب وبهتان، يكذبها المنقول ويردها المعقول، والله مهما زعم الملحدون أنهم يؤمنون بالعلم المجرد فإن كلامهم كذب، وكلام الكفار عمومًا كذب وباطل، قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، فما يقولون إلا كذبًا؛ ولذلك يجب أن يعلم المؤمنون أن الكفار لم يرشدوهم إلى خير ما داموا يتكلمون بما يخالف الدين.

والله! كل ما يخالف الدين فكلام الكفار فيه باطل وشر ولا يجلب خيرًا، هم اليوم يعيشون انحطاطًا أخلاقيًّا وفكريًّا، ويدعون الناس إلى ما يسمونه الحقوق، وهو في حقيقته عقوق هو باطل وشر.

ومن تأمل الحال أدرك هذا، فكلامهم الذي يخالف دين الله يجب أن يجزم المسلم أنه باطل وأنه كذب، وأنهم حتى لو قالوا بألسنتهم أمور فإنهم يكذبون، وإنهم يعلمون أنهم يكذبون.

الوقفة الخامسة: الداعية إلى الله، وإلى الخير يشغل نفسه بوظيفته، ويهتم بإكمالها وتحسينها وتزيينها، ولا يشغل نفسه بهداية التوفيق؛ فإنه لا يملكها ولا يملكها أي مخلوق كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، والاشتغال بها يشغل عن هداية الدلالة ويؤثر سلبًا في نفس الداعية، ويهلكه، ويضره، ويضر صحته بلا فائدة.

فمن أدب الدعوة أن الداعية إلى الله إنما يحاسب نفسه على المطلوب منه، ولا يُشغل نفسه بما وراء ذلك، لا يُشغل نفسه بمن يستمع له ومن لا يستمع له، لا يشغل نفسه بأثر كلامه وإن كان يحب أن ينتفع الناس بكلامه، قال الله ﷻ في الآية السادسة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾؛ يعني: فلعلك مهلك نفسك، ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ بسبب أنهم لم يؤمنوا بهذا الحديث، ولم يهتدوا إلى الخير، لعلك مهلك نفسك بالأسف عليهم والحزن عليهم، والمسلم لا يجوز له أن يهلك نفسه، ففي هذا بيان للطريق المسلوك الذي ينبغي أن يسير عليه الداعية إلى الله ﷻ.

ومن الأدب الذي يستفاد من هذا أن الداعية إلى الله لا يشتغل بردود أفعال الناس ولا بأقوالهم؛ فإنك أن تجد الناس يوافقونك أمر عسِر؛ وإنما المطلوب منك أن تقول الحق، وأن تقول الخير بطريق الحق؛ ولذلك علماؤنا يقررون أن من أدب الدعوة ألا تشغل نفسك بردود الناس على قولك؛ لا بمدح فيغرك، ولا بذم فيكسر نفسك.

ولذلك من المقولات التي كان يرددها الإمام الألباني رحمه الله أنه يقول: «قل كلمتك وامشـــي»؛ لا تشغل نفسك بالناس، وهذا أمر من الأهمية بمكان.

فإن من أعظم(٢٢) طرق الخير ومما يدل على إرادة الله عز وجل الخير بعبده؛ أن يكون الإنسان سالكًا طريق طلب العلم، فالعلم كله خير وأشـــرف العلم ما تعلق بكتاب الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم معنا أن الانتفاع التام بالقرآن يكون بتلاوته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه؛ فمن وفقه الله عز وجل؛ لأن يكون لكتابه تاليًا، ولمعانيه متدبرًا، وبما فيه عاملًا فقد وفقه إلى الانتفاع التام بالقرآن، والمتنافس في الخيرات يسعى لتمام الأمر، ويسعى لأن يكون في مقدمة الركب؛ لأنه يسابق إلى ربه سبحانه وتعالى، **وتقدم معنا أن التدبر للقرآن على طريقتين:**

الطريقة الأولى: التدبر الكلي؛ وهذا يقوم على معرفة مقاصد السورة الكلية، وعلى موضوعات السورة الكلية، ثم تربط الآيات بتلك المقاصد الكلية، والموضوعات الكلية، وتستخرج هداياتها.

والطريقة الثانية: التدبر الجزئي وذلك بتدبر كل آية، **وهذا أيضًا عند أهل العلم على نوعين:**

النوع الأول: تدبر هدايات الآية، فيكون التدبر منصبًّا على الهداية على دلالة الآية.

والنوع الثاني: تدبر معاني الآية، فيكون التدبر منصـبًّا على معرفة المعنى، وقد ذكرت أني حريص على أن تكون هذه الدورة تطبيقًا عمليًّا لهذا، وتدريبًا عمليًّا على هذا؛ لأن هناك كثيرين من الناس يريدون التدبر لكن لا يحسنونه، فإذا عرفنا هذين الطريقين، وعرفنا نوعي الطريق الثاني، ودربنا أنفسنا على ذلك؛ فإنه يستقيم لنا باب تدبر القرآن.

(٢٢) بداية الدرس الرابع من هنا.

وقد أخذنا البارحة وقفات في التدبر الكلي لسورة الكهف، ثم شرعنا في التدبر الجزئي بتدبر الهدايات، وأخذنا خمسة وقفات تتعلق بهذا.

والوقفة السادسة: الأمور الدنيوية كلها من الأموال، والسلطة والجاه وغير ذلك زينة ذاهبة والآخرة نعيم مقيم باقي، قال تعالى في الآية السابعة، والثامنة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨]؛ أي: جاعلون ما على الأرض مُبادًا مستأصلًا من أصله؛ فما عليها يبيد ويهلك.

- والصعيد: هو وجه الأرض.

- والجزر قال بعض أهل العلم: هي الأرض التي لا نبات فيها، وقال بعض أهل العلم: الجزر هو المستأصل المقطوع، أو المأكول ما عليه ولا مانع من اجتماع المعنيين.

فالموفق من عرف للدنيا قدرها وللآخرة فضلها، وصحب الدنيا صحبة العابد الصائم القائم، والمغرور من لهى بالدنيا، وصحبها صحبة البهائم، وتعلق بها تعلق العاشق الهائم، فالموفق من عباد الله يعرف للدنيا قدرها، ويتمتع بما أحل الله له منها ولا يعلق قلبه بها؛ وإنما يعلق قلبه بالآخرة فيغتنم الدنيا في الصيام والقيام وعبادة الرحمن ﷻ.

الوقفة السابعة: حفظ الله لأوليائه، ومن حفظ الله حفظه الله ﷻ، من حفظ دين الله حفظه الله ﷻ فوالله مهما كاد له الكائدون ومهما كثر المخالفون؛ فهو محفوظ بحفظ الله ولا يكون له شيء إلا وله فيه خير، ومن تقرب إلى الله بفرضه وما أمكن من نفله حفظه وسدده، وعندما اعتزل أهل الكهف قومهم فرارًا بتوحيدهم، وفرارًا بدينهم حفظهم الله حفظًا عجيبًا، فحفظ أجسادهم في مكانهم، فكان باب الكهف على جهة عجيبة فلا تدخله الشمس طوال الوقت فلا تؤذيهم حرارتها بل عند الشروق تزاور الشمس عن كهفهم؛ أي: تميل عن كهفهم ناحية اليمين، ﴿وَإِذَا غَرَبَت

﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الكهف: ١٧]؛ أي: تصيب أجسادهم على الراجح من أقوال المفسرين؛ لأن بعض المفسرين فسر تقرضهم مثل تزاور الشمس عنهم أنها تميل عنهم؛ لكن الراجح أنها عند الغروب تصيب أجسادهم ليستفيدوا من ذلك، ومع ذلك هم في مكان متسع في داخل الكهف ظليل طيب الهواء؛ فهذا حفظ الله لأجسادهم في مكانهم، وهم أيضًا يقلبهم الله سبحانه ذات اليمين وذات الشمال، فمع كونهم نائمين فإن الله يقلبهم حتى لا تأكل الأرض أجسادهم، وحتى تستمر دورة الدماء في أجسادهم.

لتقليبهم فائدتان:

الفائدة الأولى: حتى لا تأكل الأرض الجسد الذي يلاصقها؛ فإنه لو دام بقاء الجسد على الأرض لأكلت الأرض ذلك الجسد من جهتها.

والأمر الثاني: حتى تستمر دورة الدماء في أجسادهم؛ فإنهم لو بقوا على جهة واحدة طوال هذا الوقت لفرغ الجزء الأعلى من أجسادهم من الدماء، والدماء روح للجسد؛ وهذا ما توصل إليه الطب الحديث في حفظ أجساد المغمى عليهم؛ هذا من جهة حفظ أجسادهم من جهة المكان، ومن جهة الفعل.

وحفظهم من أعدائهم ومن الحيوانات المفترسة؛ فإنهم في كهف في جبل وهذا مظنة وصول الحيوانات المفترسة إليهم، **فحفظهم بأمرين عظيمين:**

الأمر الأول: أنه جعل في هيئتهم ما يرعب من ينظر إليهم، ويخيفه فلا يسعى للوصول إليهم، حيث أن من نظر إليهم يظنهم أيقاظًا؛ لأن عيونهم مفتوحة وهم نائمون على تلك الحال، وفوق ذلك ألقى الله عليهم هيبة، فلو اطلع عليهم أحد لولى فرارًا مرعوبًا، ولما حدث نفسه بدخول الكهف عليهم.

والثاني: أنه جعل كلبهم ينام مثلهم؛ وهذا الراجح من أقوال المفسرين؛ أنه نام مثلهم هذه المدة الطويلة؛ ولكن كأنه مستيقظ متحفز؛ فهو ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٧-١٨]، كما يفعل الكلب المتحفز الحارس، والوصيد قيل: هو باب الكهف؛ فهو على هذه الهيئة عند باب الكهف، وقيل: الوصيد جانب الفناء الذي هم فيه، ففي هذا حفظ لهم من الأعداء؛ لأنه لو اقترب منهم عدو، أو حيوان مفترس، ورأى الكلب بهذه الهيئة؛ فإن هذا يرعبه ويخيفه فسبحان من يحفظ أولياءه، سبحانه كيف يخاف من أطاع الله عدوًّا يعاديه بسبب طاعته لله؛ إن أطعت الله فأمن ولا يجري عليك الله إلا خيرًا، قال ﷻ: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٧-١٨]، فكن مع الله ولا تبالي، وأرضي الله ولا تخف، واحفظ الله يحفظك.

✍ **ويُأخذ من هذا فائدة طبية وهي**: أن إصابة الشمس لبدن الإنسان في المساء عند الغروب أنفع له، وأقل ضررًا من إصابتها له قبل ذلك؛ لأن الشمس مع أهل الكهف منذ أن تشرق تميل عنهم، ولا تصيبهم، ولكنها تكون حولهم فينتفعون بها هكذا، وقبل الغروب تصيب أجسادهم على الراجح من أقوال المفسرين، وممن رجح ذلك شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، ففائدة الإنسان من الشمس أن تكون حوله، وأن تدخل مكانه طوال اليوم ما أمكن، وأن تصيب جسده عند الغروب؛ يعني: قبل الغروب في آخر اليوم.

الوقفة الثامنة: ليس من العبادة ترك الطيب من أمور الدنيا، ولا عيب على من اختار لنفسه الزاكية من أمور الدنيا من غير إسراف ولا كبر؛ إنما العيب في الإسراف وفي الكبر؛ فمن برئ من الإسراف، وبرئ من الكبر فلا عيب عليه أن يختار الزاكية من أمور الدنيا، فيختار من كل حلال

أزكاه وأنفعه له من جهة اللبس من جهة الأكل من جهة المركوب وغير ذلك، قال تعالى في الآية التاسعة عشر: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

والشاهد: في قول الله ﷻ أنهم قالوا: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، فأرادوا من الطعام أزكاه؛ وهذا يدل على هذه القاعدة المقررة المحررة.

الوقفة التاسعة: خطورة القول في دين الله بلا علم من تحليل أو تحريم أو غير ذلك؛ فإنه من الكذب على الله؛ من الكذب على الله أن تعلم الحلال فتقول: هو حرام، أو تعلم الحرام فتقول: هو حلال لشهوة نفسك؛ وهذا أقبح أن الإنسان يعلم ويقول خلاف ما يعلم لشهوة في نفسه، أو لأمر من أمور الدنيا؛ ومن الكذب على الله ألا تعلم فتقول بلا علم فتتجرأ على الفتوى، وتتجرأ على الحكم فتقول: هذا حلال ولا علم عندك، أو تقول: هذا حرام ولا علم عندك، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وربنا ﷻ قال في الآية الخامسة عشر: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]؛ أي: لا أظلم ممن افترى على الله كذبًا، فأكذب الكذب، وأقبح الكذب، وأغلظ الكذب هو الكذب على الله ﷻ.

الوقفة العاشرة: الكذب على ولاة الأمور، وعلى العلماء أعظم ظلمًا، وأشد إثمًا من الكذب على غيرهم، الكذب على ولاة الأمور أعظم وأقبح وأكثر إثمًا من الكذب على غيرهم من الناس؛ لأن ولاة الأمور هم رؤوس الناس والكذب عليهم يجر الكثير من المفاسد، وكلما علا شرف المكذوب عليه كلما قبح الكذب، والكذب على العلماء ليس كالكذب على العامة فالكذب على

العلماء أشد ظلمًا وأقبح، وما أحوجنا في هذا الزمان لتقرير هذه القاعدة، وتكرارها، ونشرها فإنا في زمن ســـهل على الناس فيه أن يكذبوا على ولاة الأمر وعلى أن يكذبوا على العلماء، بل إن كثيرًا من الناس من الضـــلال يرون أن الكذب على ولاة الأمر دين ويتقربون إلى الله بالكذب على ولاة الأمر، وكذلك الكذب على العلماء، والكذب على العلماء:

- إما بإلصاق ما ليس فيهم بهم.
- وإما بنسبة أقوال إليهم ليست لهم، فبعض الناس يقول: هذا العالم الفلاني فيه كذا وكذا وكذا وهو بريء من هذا؛ هذا كذب عليه.
- أيضًا بعض الناس حتى يروج ما يريد على الناس يقول: وهذا القول قول الشيخ ابن باز رحمه الله وما قاله الشيخ ابن باز، أو يقول: هذا قول الشيخ الألباني، أو قول الشيخ مقبل، أو قول مشايخنا الكبار أو نحو ذلك وما قالوه هذا من الكذب عليهم.

➢ كيف أخذنا هذه الوقفة من سورة الكهف؟

أخذناها من قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فأنت لو كذبت على شـخص لكان هذا ظلمًا)، -الكذب على أي إنســان ظلم- (وعلى شخص أعلى منه لكان هذا ظلمًا أعلى من الأول، فإذا افتريت كذبًا على الله صار لا أظلم من هذا)، أخذه الشـيخ من كون الكذب على الله أفرى الفراء وأعظم الكذب، فيقول: (كلما كان الكذب على شـــخص أعلى كان أعظم ظلمًا حتى يكون أظلم الكذب، وأعظم الكذب الكذب على الله ﷻ)؛ وهذا أمر مفيد جدًّا.

الوقفة الحادية عشـــر: نؤمن ونتيقن أن الله شـــاء وقدر أن يكون من الناس مهتدون، ومنهم ضلال، وحكم الله كله عدل فالله لا يظلم الناس شيئًا.

فوالله ثم والله ثم والله لو أن الله عذب الناس جميعًا لما كان ظالمًا لهم ﷻ، فتقديره ضلال من ضل لا ظلم فيه؛ وهذه –يا إخوة– قاعدة من أنفع قواعد القدر؛ أن توقن أن الله لا يظلم الناس شيئًا، تفهم القدر في ضوء هذه القاعدة: "أن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئًا"، ولذلك نحن مع إيقاننا أن الله شاء وقدر أن يكون من الناس مهتدون، ومنهم ضلال نوقن أنه لا ظلم في ذلك، ونوقن أن الحكمة في ذلك، ونرضى بقدر الله، ومع ذلك فالمطلوب منَّا شرعًا أن نأمر بالمعروف بمعروف؛ وأن ننهى عن المنكر بلا منكر؛ هذا ضابط جميل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أن يكون الأمر بالمعروف بمعروف؛ وألا يكون النهي عن المنكر بمنكر.

مطلوب منا شرعًا مع إيقاننا بأن الله شاء أن يضل من ضل أن نأمر بالمعروف، وأن ننهى عن المنكر، وأن نسعى في دلالة من نراه ضالًّا على الهدى؛ فإنا لا ندري ما قدر له هل يبقى على الضلال أم يهتدي، فالواجب علينا أن نسعى في دلالة من رأيناه ضالًّا على طريق الهدى، قال تعالى في الآية السابعة عشر: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وأخذ العلماء من هذا أيضًا؛ أن الهداية إنما تطلب من الله بالرجوع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله، والدعاء، **من أراد الهداية فعليه بهذا:**

- أن يرجع إلى القرآن ويهتدي بما فيه.
- وأن يرجع إلى سنة سيد ولد عدنان ﷺ، ويهتدي بما فيها.
- وأن يكثر التضرع والتذلل أن يهديه الله ﷻ.

الوقفة الثانية عشر: النائم لا فعل له، ولا يؤاخذ بفعل ولا قول.

النائم –يا إخوة– لا ينسب إليه فعل، ولا ينسب إليه قول، ولا يؤاخذ بقول ولا فعل؛ يعني: مثلًا لو أن المرأة قالت وهي نائمة بجوار زوجها في منامها: إنها تحب رجلًا بعينه، قد يكون الرجل نائمًا

بجوار زوجته، أو مستيقظًا وزوجته نائمة فيجري على لسانها أنها تحب فلانًا مثلًا فيسمع ذلك؛ فإنه لا يحق له أن ينسب إليها ذلك ولا أن يؤاخذها بذلك.

ولو طلق الرجل في المنام ولو ذكر اسم زوجته، لو أنه وهو نائم كان يردد: فلانة طالق فلانة طالق؛ فإن طلاقه لا يقع باتفاق العلماء.

ولو أقر على نفسه بشيء؛ فإنه لا يؤاخذ به بل ولا تكون تلك قرينة؛ يعني: مثلًا -يا إخوة- لو أن شخصًا ادعي عليه في المحكمة أن عليه كذا، فنام وهو في نومه أقر بأن فلانًا له كذا وسمعه ألف شخص؛ فإنه لا يؤاخذ بهذا الإقرار وقوله لغو، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ فالفعل لا ينسب ولم ينسب إليهم؛ لأنهم نوام فالذي يقلبهم هو الله ﷻ بأمره ﷻ فدل ذلك على هذه القاعدة العظيمة.

الوقفة الثالثة عشر: أن من العقل والحكمة أن يحرص الإنسان على الكتمان عند الخوف، كما لو خاف من عدو، أو حاسد، ويدخل في ذلك الخوف من العين؛ فإن من الحكمة والعقل بل وما يقتضيه الدين أن يكتم الإنسان ولا ينشر.

قال تعالى في الآيتين التاسعة عشر، والعشرين: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا(١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٩-٢٠]؛ فهؤلاء الفتية لما خافوا على دينهم، وعلى أنفسهم عند استيقاظهم وأرسلوا وكيلهم ليشتري بورقهم وهو: الفضة، ليشتري لهم أزكى الطعام الذي يجده قالوا: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩]، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ يعني: وليتخفى، وليتصرف بخفية حتى لا يطلع عليه الأعداء.

فشُرع للمؤمن وكان من الحكمة والعقل أن يكتم عند الخوف، وما أحوجنا لفقه هذه القاعدة في هذا الزمان الذي كثر فيه نشر النعم على رؤوس الخلائق من غير فائدة، نجد كثيرًا من النساء وكثيرًا من الرجال يصور ما في بيته ويصور أولاده ويصور سيارته وينشرها على رؤوس الخلائق، والناس

ليسوا على درجة واحدة بل منهم من هو حساد والحاسد معيان؛ ومنهم من هو معجب لا يذكر الله عند إعجابه، والإعجاب مع عدم ذكر الله سبب للإصابة بالعين، فكم من شخص جر على نفسه، وعلى ذريته، وعلى أهله البلاء بسبب عدم الكتمان ونشر مثل هذا بلا فائدة صحيحة يقصدها العقلاء، وقلت مرارًا وتكرارًا: أنه لا يجوز للأب، أو الأم أن يصور الابن أو البنت لينشرها على رؤوس الخلائق؛ لأنه في الحقيقة تقع من هذا مفسدتان أو إحداهما:

١) مفسدة جلب العين، والعين حق وضررها بالغ؛ وهذا نعرف من قصصه في الواقع الشيء الكثير.

٢) والمفسدة الثانية: أنه قد يصور الطفل، أو الطفلة في وضع مضحك، أو وضع مزري، وينشر ليكتسب الإعجابات، ثم يكبر هذا الطفل وهذا التصوير المنشور محفوظ ويؤذيه في قابل أيامه إذا أصبح يُدرك وهذا لا يجوز، والأطفال عندنا أمانة الواجب على الوالدين فعل الأصلح للأطفال، ولاية الوالدين على الأطفال ليست ولاية تشهي؛ وإنما ولاية يجب معها فعل الأصلح، وأنا ذكرت مرارًا وتكرارًا أن من مفردات هذا اختيار الأسماء، فلا ينبغي للأب أو الأم اختيار الاسم لما يرضيه هو بل ينبغي أن ينظر في صالح الطفل هل هذا الاسم مناسب له، ولا يضره، ولا يدخل السخرية عليه ونحو هذا؛ هذا شيء قادت إليه هذه الفائدة؛ أعني: أن على الوالدين أن يتقوا الله في تصرفاتهم حيال الأطفال، وأن يوقنوا أن الواجب عليهم فعل الأصلح والبعد عن الفساد.

الوقفة الرابعة عشر: طالب العلم بل المسلم عمومًا لا يماري، ولا يجادل إلا بعلم، وفيما فيه نفع؛ فإن لم يكن ذلك سكت، وهذا الميزان الشرعي.

طالب العلم لا يجادل في الأمور العلمية، ولا يماري إلا بعلم بشرط أن يكون في ذلك الجدال نفع يُرتجى؛ أما يتحقق فهذا علمه عند الله، ولكن أن يكون فيه نفع يرتجى، وكذلك المسلم عمومًا حتى

في أموره الدنيوية لا يماري، ولا يجادل، ولا يناقش إلا بعلم وفيما فيه نفع وإلا سكت، ويدخل ذلك في قول النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))(٢٣)؛ وهذه القاعدة الشرعية الكلية في الكلام: "زنه قبل أن تتكلم؛ فإن كان خيرًا فتكلم وإلا فالأصل السكوت".

قال تعالى في الآية الثانية والعشرين: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: لا تجادل فيهم إلا جدالًا مبنيًّا على العلم ويكون أيضًا فيه فائدة.

الوقفة الخامسة عشر: وهي مرتبطة بها، ترك الجدال فيما لا حاجة إليه، أو لا فائدة عظيمةً فيه أجمع للقلوب، وأريح للنفوس، وأصلح للحياة.

الإنسان الذي يجادل في كل شيء بلا ميزان يقلق نفسه، ويجلب الهموم إلى قلبه، ويفسد حياته كذلك، فأكثر قلق الناس وأكثر مشاكلهم؛ إنما ترجع إلى جدال لا حاجة إليه، أو إلى التمادي في جدال لا تدعو إليه حاجة ولا تقتضيه المصلحة، حتى في البيت أحيانًا يفتح الزوج موضوعًا للنقاش مع الزوجة لا حاجة إليه فتكون العاقبة فسادًا، وأحيانًا يكون هناك جدال في شيء فيه فائدة ثم يُتمادى فيه، ويُتمادى في لوازمه حتى يقود إلى الفساد، فكم وكم وكم من زوجة أشقت نفسها وأشقت زوجها بالدخول في نقاش لا حاجة إليه حتى تكدرت الحياة، وكم من زوج فعل مثل ذلك، والخير للإنسان ألا يجادل ولا يماري إلا في أمر تدعو إليه الحاجة، وبمقدار ما تدعو إليه الحاجة وبشرط أن يظهر نفعه؛ فإن لم يظهر له نفع فإنه يترك؛ ما أجمل هذا، نعم هو مثالية لكنها ممكنة، تطبيقه صعب لكنه ممكن، يستطيع الإنسان أن يطبقه مع إخوانه، مع أصحابه، مع زملائه مع أهله؛ وإن كان في ذلك صعوبة؛ لأنه من أصعب الأشياء على الإنسان أن يكف لسانه عن الكلام

(٢٣) رواه البخاري، برقم: (٦٤٧٥).

لاسيما عند وجود شيء من الاستفزاز، ولكن من درب نفسه على شيء تمكن منه؛ فإنما الحلم بالتحلم؛ وهذه فائدة عظيمة نفيسة.

الوقفة السادسة عشر: من لا يعرف بالعلم المبني على الدليل لا يُرجع إليه ولا يستفتى؛ ولو كان كلامه جميلًا يعجب الناس.

بعض الناس يخرج على الناس في التلفاز ويتكلم ساعة، وقد يكون كلامه جميلًا يعجب المشاهدين، لكنك لا تعرف عنه علمًا، ولا تجد في كلامه علمًا، بل في الغالب لا يورث إلا شبهة ويقول كثيرًا من الشرور؛ وهذا واقع موجود وبوضوح مثل هذا لا يجوز الرجوع إليه، ولا يجوز استفتاؤه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، و﴿أَحَدًا﴾، نكرة في سياق النهي فتعم؛ فمن لم يُعرف بالعلم، وأنه أخذ العلم عن العلماء ويعرف بالتزام الدليل؛ فإنه لا يجوز الرجوع إليه في دين الله ﷻ.

الوقفة السابعة عشر: أفعال العبد المستقبلية إذا قصد بها الوقوع يلزم أن تسند إلى مشيئة الله، أفعال العبد التي تقع في المستقبل إذا قصد بها الوقوع يلزم لزومًا أن يُسندها إلى مشيئة الله؛ فإنها غيب مخبوء عن العبد قد تقع وقد لا تقع وبمشيئة الله تتيسر الأمور، وتحصل البركة ويستحضر العبد عند ذكرها توكله على الله واستعانته بالله.

➢ **ما فائدة قول إن شاء الله في الأفعال المستقبلية إذا قصد بها الوقوع؟**

أولًا: إسناد الأمر إلى الله؛ لأن الوقوع غيب، والعبد لا يدري هل يقع أو لا يقع.

ثانيًا: أنه بذكر مشيئة الله يتيسر وقوع الخير الذي يريده الإنسان.

ثالثًا: أنه بذكر مشيئة الله تحصل البركة.

رابعًا: أن في ذكر مشيئة الله تذكيرًا بالتوكل على الله في هذا الفعل، والاستعانة بالله ﷻ في هذا الفعل، هذا ماذا؟ إذا قصد بها الوقوع.

انتبهوا هذه فائدة فقهية، وعلمية نفيسة جدًّا؛ أما إذا قصد بها الخبر عما عزم عليه الإنسان، أن يخبر عن عزمه لا عن وقوع؛ فإنه لا يلزم تعليقها بالمشيئة؛ لأن العزم حاصل الآن.

كما لو قال لك قائل: هل ستزورني غدًا؟ وأنت عازم على زيارته غدًا وتريد أن تخبره بعزمك؛ فإنه لا يلزم أن تقول: سأزورك غدًا إن شاء الله، لا يلزم بل يجوز أن تقول: سأزورك غدًا إن شاء الله، ويجوز أن تقول: سأزورك غدًا؛ لأنك الآن تخبر عن عزمك لا عن الوقوع.

إذًا إذا كان قصدك الإخبار عن العزم الحاصل لتخبر سامعك أنك عازم على ذلك فلا يلزم أن تعلق الفعل بالمشيئة، وإذا كان قصدك الإخبار عن الوقوع؛ فإنه لابدَّ لزومًا من التعليق بالمشيئة؛ لأنك لا تدري ما يقع وما لا يقع.

إذًا عرفنا علة لزوم التعليق بالمشيئة عند الإخبار بقصد الوقوع وهي: أن هذا غيب غير حاصل الآن والله أعلم هل يقع أو لا يقع، وعلة عدم لزوم تعليق الفعل بالمشيئة عند الإخبار عن العزم؛ لأن العزم حاصل الآن فأنت تخبر عن واقع وتخبر عن موجود، نبه على هذا شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عز وجل في تفسيره لسورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

الوقفة الثامنة عشر: ذكر الله علاج للنسيان ومذهب له.

ولذلك من علاج النسيان؛ أن تكثر من ذكر الله؛ وأن تكثر من قراءة القرآن، من كان يشتكي من كثرة النسيان فعليه أن يكثر من ذكر الله، وأن يكثر من تلاوة القرآن؛ فإن هذا يجلو الذهن

ويطرد النسيان؛ ولذلك من الحكمة الشرعية -يا إخوة- أنه شُرع للمأموم إذا سهى الإمام أن يقول: سبحان الله، لماذا شرع هذا القول بعينه؟ لأن سبحان الله من أعلى الذكر، ومن أشرف الذكر، فقد يكون ذلك سببًا لتذكر الإمام؛ يعني: بقول المأموم: سبحان الله ينبه الإمام أنه سهى؛ وهذا الذكر قد يكون سببًا لأن يتنبه الإمام لما سهى عنه بعينه؛ لأن ذكر الله مذهب للنسيان، قال تعالى كما سمعنا: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

الوقفة التاسعة عشر: كمال علم الله ﷻ، وإحاطة سمعه وبصره.

فعلم الله ﷻ العلم القديم الأزلي كامل لا يخرج عنه شيء، فالله علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وإحاطة سمع الله ﷻ وبصره، والعبد إذا أيقن بكمال علم الله ﷻ سلم لشرعه تسليمًا تامًّا، ولم يجد في نفسه حرجًا من أي أمر شرعه الله ﷻ، وإذا أيقن بإحاطة سمع الله وبصر الله استحى من الله حق الحياء؛ فإنه يعلم أن الله يسمع كلامه كله، ويرى مكانه حيث ما كان، قال الله ﷻ في الآية السادسة والعشرين: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

الوقفة العشرون: الحكم كله لله.

❖ **وحكم الله نوعان:**

١) **حكم قدري**: وهذا لا يستطيع أحد أن يشارك الله فيه أصلًا، كما قال النبي ﷺ: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ

وَجَفَّتْ الصُّحُفُ))[٢٤] كما رواه الترمذي وصححه الألباني، فحكم الله القدري لا يستطيع أحد أن يشارك فيه ولا أن يعارضه.

٢) **والثاني: حكمٌ شرعي**: وهذا يجب على المؤمن أن يسلم له وألا يشرك في حكم الله أَحدًا، ولذلك من القواعد الشرعية اليقينية؛ أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالمخلوق إنما يُطاع؛ لأن الله شرع طاعته ولا تُجعل طاعة المخلوق في مقابل طاعة الله، فولي الأمر المسلم يجب أن يسمع له ويطاع ما لم يأمر بمعصية؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في تلك المعصية مع بقاء السمع والطاعة في غيرها، والأب يجب على الابن أن يُطيعه ما لم يأمر بمعصية؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في تلك المعصية، ويلحق العلماء بهذا أن يأمر الأب ابنه بما يضره فإن الشرع منع الضرر وهكذا، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]؛ وهذه نكرة في سياق النفي فتعم.

الوقفة الحادية والعشرون: في فوائد قصة أهل الكهف.

قال السعدي رحمه الله: -يعني: للفائدة- كثير من الإخوة يقول: هل نقول السَّعدي أو نقول السِّعدي؟ إذا نسبته إلى جده فقلت ابن سِعدي؛ فإنه بكسر السين؛ لأن هذا هو الشائع في نجد، وإذا نسبته فقلت السَّعدي فيجوز الوجهان، يجوز السَّعدي بفتح السين وهو أفصح وأوفق للغة، ويجوز السِّعدي، وقد ورد ضبط هذا عن الشيخ بالفتح والسين، وتلاميذه تكلموا في هذا، والوجهان جائزان والفتح أفصح، فإذا قلت ابن فإنك تقول ابن سِعدي، وإذا نسبته إلى القبيلة فإنه يجوز لك أن تقول: السَّعدي ويجوز أن تقول: السِّعدي والفتح أحسن؛ هذه فائدة زائدة لكنها؛ يعني: تجيب عن سؤال عند كثير من طلاب العلم.

(٢٤) رواه الترمذي، برقم: (٢١٦٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم: (٥٣٠٢).

قال الشيخ السَّعدي رحمه الله: (وفي هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله)[٢٥]، – ما أجمل هذا– (أن من حرص على العافية عافاه الله)؛ إنما يُخذل من لم يكن صادقًا في طلب العافية؛ أما من صدق وطلب العافية؛ فإن الله يُعافيه، قال: (ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨])).

الوقفة الثانية والعشرون: الذي يطاع، ويتبع، ويقتدى به من كان مطيعًا لمولاه، خارجًا عن داعية هواه، حريصًا على المصالح العامة، قال تعالى في الآية الثامنة، والعشرين: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال السَّعدي رحمه الله: (أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه؛ –أي: من العلم–، فحقيق بذلك أن يتبع وأن يجعل إمامًا)[٢٦].

وما أحوجنا –يا إخوة– إلى تكرار هذا الكلام على الناس؛ فإن كثيرًا من الناس اليوم أصبح لا يعرف كيف يتخذ إمامًا، فاتخذوا حقيقةً رؤوسًا جهالًا، هم على ضلال في أنفسهم وضل من اتخذهم إمامًا.

---

(٢٥) انظر تفسير السَّعدي تيسير الكريم الرحمن، (٤٧٣/١).

(٢٦) انظر تفسير السَّعدي تيسير الكريم الرحمن، (٤٧٥/١).

الوقفة الثالثة والعشرون: سوء حال أهل النار، والتحذير من السير في طريقها في الدنيا، وعظيم نعيم أهل الجنة والحث على سلوك طريقها.

قال تعالى في الآية التاسعة والعشرين إلى الآية الحادية والثلاثين: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩-٣١].

الوقفة الرابعة والعشرون: للإنسان اختيار ومشيئة لا تخرج عن مشيئة الله الكونية القدرية.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فللإنسان مشيئة واختيار والذي في الآية ليس للتخيير؛ وإنما لبيان أن للإنسان مشيئة ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾، ومن آمن فقد اهتدى، ﴿وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ومن كفر فقد غوى؛ وهذا للتهديد وليس للاختيار.

الوقفة الخامسة والعشرون: ليس إعطاء الله الدنيا دليلًا على محبة الله ورضاه.

فإن الله يُعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، وليس ابتلاء الله للعبد دليلًا على غضبه عليه؛ فإن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، والله سبحانه إذا أحب عبدًا أصاب منه، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فليس إعطاء العبد زينة الدنيا دليلًا على أنه على خير؛ وهذا أيضًا ظاهر في قصة الرجلين؛ فإن الله أعطى الجاحد الكافر أكثر مما أعطى المؤمن الشاكر، ولله في هذا حكمة، وفي هذا حكمة.

الوقفة السادسة والعشرون: شكر الله على النعم والتواضع عند حصولها سبب لاستمرارها، وكفر النعم والكبر عند حصولها سبب لسلبها، قال تعالى في الآيات الثانية والثلاثين إلى الآية الرابعة والأربعين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٦].

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، هكذا يقول: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾، كما تقولون أن هناك ساعةً وهناك بعثًا، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، فبلغ به الغرور منتهاه، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧-٣٨].

﴿لَّٰكِنَّا﴾ أي: لكن أنا أقول، وأعتقد: ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٣٩-٤٤].

الوقفة السابعة والعشرون: الدنيا نعيم سريع الزوال، قريب الارتحال، والفائز فيها من اغتنمها في طاعة الله، قال تعالى في الآية الخامسة والأربعين إلى الآية التاسعة والأربعين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٩].

الوقفة الثامنة والعشرون: العدل، والسعادة، والفلاح في أن يتعظ العبد بآيات الله؛ وأن يُحاسب نفسه في الدنيا على ما قدَّم لأُخراه، قال تعالى في الآية السابعة والخمسين، والثامنة والخمسين: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٧-٥٨].

الوقفة التاسعة والعشرون: الخير للمؤمن والمؤمنة أن يطلب العلم من العلماء؛ وأن يصبر على ما قد يلقاه في طريق ذلك، العلماء قرروا أن العلم إنما يتلقى عن العلماء الثقات؛ وأن الكتب إنما هي سبب لا يُغني عن التلقي عن العلماء، فالخير للمؤمن والمؤمنة؛ أن يحرص على مجالس أهل العلم الثقات المعروفين بالسنة؛ وأن يصبر على ما قد يلقاه في ذلك.

لا شك أن المعوقات كثيرة، الدنيا ملهية، والأسرة تحتاج وتحتاج، والكسل حاصل، والمعين قليل، والمنفرات كثيرة، ولولا ذلك لطلب العلم كل أحد؛ فإن العلم شريف عند كل عاقل، يكفي العلم شرفًا أن يدعيه من ليس من أهله؛ وأن يغضب الجاهل إذا وصف بكونه جاهلًا، فلو قلت لأي إنسان: أنت جاهل لما رضي، حتى وهو يعلم أنه جاهل، ولذلك لا يطلب العلم إلا قليل، لذلك لا تعجب -يا أخي- إذا وجدت أن مجالس العلماء فيها عدد قليل؛ وأن مجالس اللهو فيها أعداد كثيرة كبيرة.

والذين يصبرون على طلب العلم من القليل قليل، كثيرًا ما يبدأ طلاب العلم المجلس وهم عدد، ثم لا يزال يقل العدد حتى لا يبقى إلا أهل الصبر الذين رزقوا الصبر على الطريق، وما أجمل من أن تكون من هؤلاء القلة، والعاقبة حميدة، قال الله ﷻ في الآية الستين إلى الآية الرابعة والستين: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٠-٦٤].

الوقفة الثلاثون: من أعظم ما يحتاجه طالب العلم الصبر؛ يقول العلماء: طالب العلم يحتاج إلى همة وإلى صبر؛ ومن أعظم ما يحتاجه طالب العلم الصبر على الطريق، والصبر عند تلقي العلم من الشيخ، وترك العجلة، وترك منازعة الشيخ؛ وهذا يحتاج مجاهدةً شديدة، قال تعالى في الآية الخامسة والستين إلى الآية التاسعة والستين: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦].

وهذا أدب في طلب العلم مع أن موسى عليه السلام نبي يوحى إليه، والخضر على الراجح رجل صالح أوتي علمًا، موسى عليه السلام يخاطبه بهذا الخطاب اللين: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فأكون لك تابعًا وتكون لي معلمًا: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

وهذا الأصل أن طالب العلم يطلب ما لا يعلم، ومن طلب ما لا يعلم يحتاج إلى الصبر؛ لأنه تثور في نفسه أسئلة، وتثور في نفسه مشكلات فيحتاج أن يصبر حتى يفرغ الشيخ، فإذا لم يشف الشيخ غليله، ولم يبين له ما يدفع الأسئلة، يحتاج أن يسأل الشيخ بأدب وبلطف: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي

إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، ثم قال سبحانه في الآية الثامنة والسبعين: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[الكهف: ٧٨]، فأعظم ما يحتاجه طالب العلم الصبر.

الوقفة الحادية والثلاثون: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كنز فوائد، ودليل لكثير من القواعد.

قال السَّعدي رحمه الله: (وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله. فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

- ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل؛ -أن يحرص الإنسان على أن يجمع بين الأمور الأهم وما كان دونه هذا هو الأصل؛ لأنه القاعدة في الشريعة الجمع بين المصالح ما أمكن؛ فإن تزاحمت قدم الأهم-.
- يقول الشيخ: ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤونة، وطلب الراحة كما فعل موسى عليه السلام.
- ومنها: أن المسافر لطلب علم، أو جهاد أو نحوه إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه وأين يريده فإنه أكمل من كتمه؛ -يعني: لو كنت ستسافر إلى المدينة لطلب العلم، واقتضت المصلحة؛ أن تخبر بأنك ذاهب إلى المدينة لطلب العلم؛ فإن هذا أفضل من كتمه-؛ فإن في إظهاره فوائد، قال موسى عليه السلام: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

- ومنها: جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس من نصب، أو جوع، أو عطش؛ وأن هذا ليس من التشكي إذا كان صدقًا لقول موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].
- قال الشيخ: ومنها: استحباب كون خادم الإنسان ذكيًّا فطنًا كيسًا، ليتم له أمره الذي يريده.
- ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله وأكلهما جميعًا معًا؛ لأن ظاهر قوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]، إضافة إلى الجميع وأنه أكل هو وهو جميعًا.
- ومنها: أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به؛ وأن الموافق لأمر الله يعان على ما لا يعان عليه غيره لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].
- ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه ليس نبيًّا؛ بل كان عبدًا صالحًا؛ لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته ولو كان نبيًّا لذكر ذلك كما ذكره غيره، -قلتُ: في هذا أيضًا أن الإنسان يشرف بالعلم، وأن مقام العلم مقام شريف يرفع به الإنسان-.
- ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه؛ بل يدَّعي من يدَّعي منهم أنه يتعاون معه على العلم، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه؛ -وهذه آفة بعض طلاب العلم، لا يستفيدون من الأشياخ؛ لأنهم يظنون أنهم يعلمون الأشياخ، فإذا جلس عند الشيخ لا يجلس جلسة المتعلم؛ وإنما يتأهب تأهب المعلم، فلا يكون همه أن يسمع من الشيخ ما ينفعه؛ وإنما يكون همه ما الذي يخطئ فيه الشيخ في ظنه ليعلم الشيخ إما أمامه، وإما من وراء ظهره؛ وهذه آفة من آفات طلب العلم-، يقول الشيخ: فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم.

- قال: ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: ٦٦]؛ أي: مما علمك الله.
- ومنها: أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير؛ -ليس كل علم علمًا، وليس كل علم نافعًا، ليس كل ما يسمى علمًا عند الناس هو في حقيقته علم، بل بعض ما يسمى علمًا هو جهل وظلم، كما يسمون علم السحر مثلًا، وليس كل ما يسمى علمًا نافعًا، فبعض ما يسمى علمًا ويستحق أن يسمى علمًا ليس بنافع، أو غيره أنفع منه، ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره يوصي طالب العلم بأن يكون همه أن يطلب العلم النافع-.
- يقول الشيخ: ومنها: أن العلم النافع هو العلم المرشد للخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طرق الشر أو وسيلة إلى ذلك؛ فإنه من العلم النافع وما سوى ذلك؛ فإما أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].
- قال: ومنها: الأمر بالتأني، والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود)[٢٧]، -ومن أعظم ما يتخلق به الإنسان ويؤتاه الإنسان التأني في الأمور إلا في أمور الآخرة؛ أن يكون الإنسان ذا أناة تاركًا العجلة؛ هذا من أعظم ما يؤتاه الإنسان إلا في أمور الآخرة؛ فإن التأني في كل شيء خير إلا في أمور الآخرة كما أخبر النبي ﷺ-.

وذكر الشيخ فوائد كثيرةً جدًّا أحيلكم إلى تفسير الشيخ، لكن من الفوائد العظيمة في القصة قواعد المصالح والمفاسد؛ وأن المصالح يجمع بينها ما أمكن، فإذا تزاحمت قُدم أعلاها؛ وأن المفاسد تجتنب كلها ما أمكن؛ وأنها إذا تزاحمت دفع الأعلى بارتكاب الأخف؛ وأنه إذا تساوت المصالح

(٢٧) انظر تفسير السَّعدي تيسير الكريم الرحمن، (٤٨٢/١).

والمفاسد في نظر المجتهد؛ فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح؛ وأما بقية الفوائد التي ذكرها الشيخ فأحيلكم إلى تفسير الشيخ؛ لأنها طويلة.

الوقفة الثانية والثلاثون: ليست العبرة في صلاح الأعمال بما يستحسنه الإنسان، ويظنه ظنًّا مجردًا عن الدليل؛ وإنما العبرة باتباع الرسول ﷺ، قال تعالى في الآيتين الثالثة والرابعة بعد المئة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، فمن أعظم الضلال أن يكون الإنسان على ضلال وهو يظن نفسه على هدى؛ ومن أعظم الجهل أن يظن الإنسان نفسه على علم وهو على جهل؛ فهذا هو الجهل المركب، ولذلك -يا إخوة- كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المبتدع يحسب أنه على خير وأنه على دين؛ أما العاصي فهو يعلم أنه على ضلال.

الوقفة الثالثة والثلاثون: من حسن التعليم تقريب المعاني بالمحسوسات.

من حسن التعليم تقريب المعاني إلى الأذهان؛ ومن تقريب المعاني إلى الأذهان ضرب الأمثلة وتقريب المعنى بالأمور المحسوسة، ومما ذكره بعض أهل العلم أن من تقريب العلم وتقريب المعاني أن تذكر الأمثلة الغريبة الصادقة؛ لأن المثل الغريب يعلق بالذهن ولا يذهب، ولذلك من كلام بعض الفقهاء ما يتعجب منه من لا يعرف غور كلامهم؛ فإنهم مثلًا يقولون: من حمل قِربة فساء فصلى، هل تصح صلاته؟ أو من حمل قِربة فساء وطاف، هل يصح طوافه؟

هذا مثل غريب بعيد، أن يُجمع الفساء في قِربة، وتُحمل القِربة هذا مثل غريب وعجيب، لكن لو سمعه الإنسان ما ينساه، والمقصود: لو حمل الإنسان نجاسةً بحائل وصلى، ليست النجاسة ملابسةً أو طاف، ومن أمثلة هذا مثلًا اليوم: أن المرأة لو حملت طفلها وعليه الحفاظ، هل تصح صلاتها؟

يعني: امرأة تصلي فصاح طفلها وعليه الحفاظ، والمعلوم أن الحفاظ تكون فيه النجاسة فحملت الطفل وهي تصلي، هل تصح صلاتها؟ إذا حملته وطافت به هل يصح طوافها؟

مسائل عظيمة بنيت، وقربت بمثال غريب يبقى عالقًا في الأذهان، ولذلك من الفوائد التي استفدناها من مشايخنا: لا تنكر قول العالم حتى تعرف غوره، فقد يذكر العالم كلامًا بعيدًا وله غور قريب، قد يتكلم العالم بشيء غير موجود في البلد؛ لأنه يرى من القرائن أنه سيقع وهناك قد لا يستطيع أن يذكره، أحيانًا بعض المشايخ يتكلم بشيء تتلفت أنت هذا ما هو موجود، غير موجود عندنا، لكن العالم من علمه، وفطنته، وفراسته يرى أن هذا قادم إلى البلد؛ وأنه ربما إذا وقع لا يكون موجودًا، أو لا يستطيع أن يتكلم عند ذاك؛ وهذا من الفطنة والحكمة ولذلك ما أجمل هذا، لا تنكر قول العالم، -ونحن نتكلم عن العالم- حتى تعرف غوره.

قال تعالى في الآية التاسعة بعد المئة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فقرب المعنى بشيء محسوس وهو البحر الذي يراه الإنسان ويعرفه الإنسان.

فهذا هو المجلس السادس والأخير من مجالس هذه الدورة التي أسأل الله ﷻ أن يجعلها مباركةً نافعة؛ وأن يجعل مجالسنا فيها مما يسرنا عند لقائه ﷻ؛ لا زلنا معاشر -الإخوة والأخوات- مع الوقفات التدبرية الجزئية لهدايات آيات سورة الكهف، **فنحن ذكرنا أن التدبر الجزئي لآيات السورة يكون على نوعين:**

١) تدبر لهدايات الآية.

٢) وتدبر لمعنى الآية.

ولا زلنا مع النوع الأول من التدبر الجزئي، وهو التدبر لهدايات الآيات.

الوقفة الرابعة والثلاثون: أن محمدًا ﷺ عبد من البشر شرفه الله ﷻ بالرسالة.

فهو عبد لا يعبد، ورسول يطاع ولا يُكذب، فهو ﷺ لا يعطى ما لله كما فعل الغلاة، ولا تنتقص منزلته كما فعل الجفاة؛ وإنما هو ﷺ عبد لله، وعبوديته لله شرف له وهو من البشر لم يخرج عن كونه بشريًّا يصيبه ما يصيب البشر؛ وهذا من حكمة وقوع النسيان منه في الصلاة أن تتأكد هذه القضية؛ وهو أنه بشر يصيبه ما يصيب البشر ﷺ؛ ولكنه عبد شرفه الله بالرسالة فهو أشرف الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين ﷺ، قال الله تعالى في الآية العاشرة بعد المائة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الطرف الأول، ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ هذا الطرف الثاني.

الوقفة الخامسة والثلاثون والأخيرة في هذا النوع: عظم شأن الإخلاص، والإتباع لرسول الله ﷺ، وخطورة الشرك، وأنه لا نجاة عند لقاء الله إلا للموحدين، المخلصين، وأن الله لا يقبل الأعمال الصالحة إلا من الموحدين، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ فطريق النجاة والسعادة عند لقاء الله ﷻ هو بالتوحيد، والبراءة من الشرك، والعمل الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾؛ ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان العبد فيه مخلصًا، وكان لرسوله ﷺ متبعًا، يقول النبي ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[٢٨]، ويقول ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢٩]، ثم قال الله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، **وهذا دليل على أمرين:**

الأمر الأول: أنه لا بدَّ في التوحيد من توحيد الله، والبراءة من الشرك؛ لا بد من الأمرين.

والأمر الثاني: عظم شأن الإخلاص، فإن الإخلاص دخل في قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ثم أفرده الله بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وإفراد فردٍ من أفراد العموم بعد دخوله في العام دليل على شرفه، وعلى فضله ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]. ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ دخل فيهم جبريل عليه السلام، ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ جبريل عليه السلام، فذكره إفرادًا بعد أن ذكره إجمالًا، وذلك لعظيم شرفه، وأنه أشرف الملائكة عليه السلام.

فهذا يدلك على عظم شأن الإخلاص لله ﷻ، وأنه ينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه في الإخلاص لله ﷻ، والإخلاص عزيز يحتاج إلى جهاد، ويحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى مصابرة، ويحتاج إلى متابعة، ينبغي على الإنسان أن يتفقد نفسه في كل حين في شأن الإخلاص، وإذا أراد أن يدخل عملًا أن يبدأه بإخلاص لله ﷻ، ويعمله بإخلاص لله ﷻ، وينهيه بإخلاص لله ﷻ.

(٢٨) رواه البخاري، برقم: (٢٦٩٧).

(٢٩) رواه مسلم، برقم: (١٧١٨).

➢ **ثم ننتقل إلى النوع الثاني من أنواع التدبر الجزئي:** وهو تدبر معنى الآية، ولن نقف مع كل الآيات، وإنّما اخترت بعض الآيات التي فيها بعض الألفاظ التي تخفى معانيها على كثير من الناس، ولم يمر معناها معنا فيما تقدم.

قال الله ﷻ: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]، أي: ليخبر بما يخوّف، وهو الترهيب، والبأس الشديد: هو العذاب، والقليل من عذاب الله شديد، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، فالمعنى ليخوّف الناس عذاب الله الشديد إن هم كفروا وعصوا.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليخبر بما يسرّ وهو الترغيب، فالمعنى: ليخبر المؤمنين بما يسرهم فضلًا من ربهم، ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: من إيمان المؤمنين أنهم يعملون الصالحات، وهذا أحد الأدلة لأهل السنة والجماعة على أن العمل من الإيمان؛ لأن الله قال: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ فمن هم المؤمنون؟ ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾.

﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣]؛ أي: باقين في ذاك النعيم بقاءً لا نهاية له، فهو نعيم لا منغص له، ولا نقص فيه، ولا نهاية له، نعيم يتصف بهذه الصفات الثلاث: لا منغص له، ولا نقص فيه، ولا نهاية له.

﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]؛ أي: ليس لهم بما ينسبونه إلى الله، أو بقولهم أيُّ علم؛ وعلم هنا نكرة في سياق النفي سُبقت بـ:﴿مِنْ﴾ فتقتضي النفي المستغرق المحفوظ، النكرة إذا وقعت في سياق النفي تفيد العموم فإذا سبقتها "مِن" أفادت الاستغراق، والحفظ، فهي تفيد الاستغراق المحفوظ، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أي: تناهت في القبح.

قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]؛ الصعيد: هو وجه الأرض، والجُرُز: هي الأرض التي لا تكون مُنبتة، والمعنى: أنا سننسِف كل من على الأرض من جبال، وأشجار وغير ذلك يوم القيامة؛ فعندما يخرج الناس عند البعث من قبورهم يرون الأرض غير الأرض فيزداد ذهولهم، وفي هذا إشارة إلى أن زينة الدنيا مهما كانت قوية ليست باقية.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]؛ أي: بل ظننت أن أصحاب الكهف وهو الغار في الجبل، والرقيم وهو المكتوب؛ وذلك أن قصة أهل الكهف كانت مكتوبة عند الكهف، بل ظننت أن هذه القصة التي هي من آيات الله الكونية محل تعجب، واستغراب وهي عجيبة، لكن الله على كل شيء قدير، وهي ليست فريدة هي عجيبة، لكنها ليست فريدة، بل الله جعل لعباده من الآيات الكونية العجيبة الكثير.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ﴾: أي ليعلم الله، والله ﷻ علم كل شيءٍ قبل وقوعه، فعلم الله ﷻ القديم الأزلي محيط بكل شيء، لا يخرج عنه شيء البتة، الله علم في الأزل أني سأرفع أصبعي؛ علم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا العلم هو الذي مرتبة من مراتب القدر وانبنى عليه القدر، وقول ربنا ﷻ هنا ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: علم الظهور والوقوع، **فعلم الله نوعان:**

- علمٌ أزلي قديم، محيطٌ لم يخرج عنه شيء، علم الله الأشياء قبل كونها ووقوعها.
- وعلم ظهورٍ ووقوع، وهذا عند الوقوع، وهذا يترتب عليه الثواب، والعقاب، والحساب.

إذًا علم الله القديم الأزلي ترتب عليه القدر، وعلم الله علم الظهور والوقوع يترتب عليه الثواب والعقاب؛ الله علم أن فلانًا سيكفر في الأزل، وعلم أنه سيقع، لكن لم يُرتب على ذلك الجزاء، وإنما رتب الجزاء على علم الظهور والوقوع، وهذا من كمال عدل الله ﷻ.

﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾؛ يعني: لو أشركنا بالله ودعونا من دونه إلهًا لقد قلنا إذًا قولًا مائلًا عن الحق ميلًا عظيمًا بعيدًا، والشطط: هو الإفراط والبعد.

﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]؛ أي: يهيئ لكم مكانًا ترتفقون به؛ أي: تنتفعون به وتسلمون من الأذى، ومن هذا المعنى تسمى أماكن النفع العام بالمرافق إلى اليوم عندما تسمع كلمة المرافق فإنه يُعنى بها أماكن النفع العام من هذا.

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]؛ أي: لن تجد من دون الله أحدًا تميل إليه، وتأوي إليه؛ ولذلك كلٌّ تفر منه إلى غيره إلا الله تفر منه إليه: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]، فالله هو المألوه المرغوب إليه في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسؤول في جميع المطالب.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ أي: كان حاله وشأنه ضائعًا تمضي الأيام، والليالي به بلا نفع فأمره ضائع.

﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]؛ أي: أحاط بهم سورها فلا مخرج لهم منها، ولا يخف عذابها النار مسورة بسور من نار، مغلقة فلا مخرج منها، ولا يخف عذابها، نعوذ بالله من النار! والسرادق ما أحاط بالبناء، وقال بعض المفسرين: أحجار توضع على أطراف الخيمة حتى لا يدخلها شيء من الزواحف؛ يعني: عندما تنصب الخيمة يأتون بأحجار ويضعونها على أطراف الخيمة حتى تلتصق بالأرض فلا يدخل شيء من الزواحف إلى الخيمة، والمقصود: أنه شيء يمنع الخروج منعًا كليًّا.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ يعني: إذا أشتد عطش أهل النار، وطلبوا الغوث بالماء يؤتون بماء غليظ متخثر كخثارة الزيت في أسفل الإناء؛ إذا وضعت الزيت ترى في أسفله تخثرًا، هكذا شأن

هذا الماء مغليًّا قد اشتدت حرارته، فإذا قُرِّب من الوجه سقطت جلدة الوجه، وإذا شُرب تقطعت الأمعاء نعوذ بالله من سوء الحال!.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]؛ أي: جعلنا لأحد الرجلين بستانين جميلين أغلب ما فيهما العنب، وعلى أطراف الجنتين النخيل، وما بينهما زرعٌ فيه حبوب، ففيهما الفاكهة، وفيهما الغذاء، وفيهما الجمال.

﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، ذكرت في الدرس أن معنى لكنَّا: لكن أنا، وذكرته هنا؛ لأن كثيرًا من الناس لا يعرف معنى لكنَّا؛ معناها: لكن أنا.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي: يرسل عليها عذابًا يدمرها من السماء، فلا تملك له منعًا، ولا دفعًا، فتصبح لا نبات فيها، ويظهر فيها وجه الأرض، وتغمرها المياه فيصبح ترابها زلقًا لا تمكن زراعتها.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي الأعمال الصالحة من أقوال وأفعال، هي التي تبقى لصاحبها، ومن أشرفها وأيسرها ذكر الله، ومن أفضله قول: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوه إلا بالله" خمسة؛ سادسها: صلى الله على محمد وسلم، ستة أشرف الأذكار بعد كتاب الله ﷻ ما أسهلها، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على محمد؛ ما أيسرها لا تحتاج كُلفة، ولا يشغل عنها شيء، يُمكن للإنسان أن يقولها وهو في السيارة، أن يقولها وهو في انتظار شيء.

وأدركنا بعض مشايخنا لا يفتر من الذكر كالشيخ ابن باز ﷺ، حتى عندما يسمع إلى سؤال أثناء سماعه للسؤال يذكر الله: استغفر الله سبحان الله، ولعل بعضكم إذا كان سمع نور على الدرب مع الشيخ ابن باز ﷺ يلحظ هذا، أسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين كثيرًا والذاكرات.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]؛ أي: ما كنت متخذ الكفار أنصارًا ينصرون ديني ولا ينصرون عبادي، ما كنت متخذهم أنصارًا ينصرون ديني، وما كنت متخذهم أنصارًا ينصرون عبادي، وفي هذا إشارة إلى أن الكفار لا ينصرون المسلمين، هم قد يفعلون شيئًا لمصلحتهم، لكن لا لنصرة المسلمين.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]؛ أي: جعلنا بين المشركين وشركائهم حائلًا مهلكًا يفرق بينهم وبينهم، ويبعد بعضهم من بعض؛ لأنهم أعداء لبعض، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، كما قاله موسى عليه السلام؛ أي: لا أزال مسافرًا، وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، إما أن أبلغ مجمع البحرين، أو أمضي قاطعًا مسافات طويلة في أزمنة طويلة؛ أي: قاطعًا مسافات طويلة في أزمنة طويلة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]؛ أي: فلما بلغا مجمع بين البحرين نسي الغلام الموكل بالحوت الحوت، وذهل عنه، فخرج الحوت من المِكْتل، وقد كان ميتًا وقد طعما منه.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، أصل السرب -يا إخوة- السرداب؛ يعني: اتخذ طريقه في البحر ظاهرًا فوق الماء، لا يلتئم عليه الماء، بخلاف المعتاد أن الحوت إذا دخل في الماء غطاه الماء، والتأم عليه الماء، وهذه حال عجيبة.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]؛ أي: آتيناه من كل شيء يُحتاج إليه في قوة السلطان، والتمكين في الأرض شيئًا يتوصل به إلى مقصوده، وهو العلم بعلوم الأرض، وأسباب لا نعلمها، العلم بعلوم الأرض حتى يتمكن من الذهاب إلى نواحي الأرض، وأسبابٌ لا نعلمها، ولكن نوقن أن الله آتاه من كل شيء يحتاج إليه في سلطانه، وتمكينه في الأرض سببًا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: حتى بلغ إذا أقصى المغرب من الأرض وجد الشمس تغرب فيما يظهر للرائي في مجمع ماءٍ قد اسود، وهو: البحر والمعلوم أن الواقف على البر من جهة البحر وقت غروب الشمس يرى أن الشمس تغرب في البحر، وإن كانت في الحقيقة هي تكون على الأرض ظاهرة من جهةٍ أخرى، ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ هي العين: أي مجمع الماء التي اسودت، فهو بحرٌ قد اسود ماؤه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي: حتى إذا بلغ أقصى ما يصل إليه من جهة المشرق، وجدها تطلع على قومٍ ليس عندهم شيء يسترهم من الشمس؛ لا بناء ولا شجر ولا غير ذلك؛ حتى قال بعض أهل العلم: ولا لباس، بل الشمس تصيبهم مباشرةً لا ساتر لهم.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]؛ أي: فما استطاعوا أن يتسلقوه؛ لأنه عالٍ أملس، وما استطاعوا أن يخرقوه لكونه قويًّا؛ فهو من حديد قد أوقدت عليه النار، ثم صب عليه النحاس المذاب فتماسك، فلا يستطيعون أن يخرقوه، وكلما خرقوا شيئًا يسيرًا قالوا: نرجع غدًا فإذا رجعوا وجدوه عاد كما كان، حتى إذا شاء الله أن يخرجوا ألهم قائدهم أن يقول: نرجع غدًا إن شاء الله، فيرجعون فيجدون الذي خرقوه في اليوم الماضي كما هو، وهكذا حتى يخرقوه؛ ليخرج يأجوج ومأجوج، كما هو معلوم في آخر الزمن.

الخاتمة

وبهذا ننهي ما أردنا ذكره، وكما قلت أولًا مرادي أن ندرب أنفسنا جميعًا على الطريقة المثلى في تدبر القرآن وأن نجعل ذلك مثالًا لتدبر القرآن، وتصور معي لو أنَّا أخذنا كل سورة بهذه الطريقة التي أوردناها بدءًا من سورة البقرة في البيت، وبدأنا بالتدبر الكلي، ثم التدبر الجزئي بتدبر الهدايات، ثم التدبر الجزئي بتدبر المعاني فيما يحتاج إليه وقيدناه، ثم انتقلنا إلى آل عمران إلى آخر السور، كم من الخير سنشغل أنفسنا به ونستفيد منه ونحصله؟ وجميل جدًا جدًا لو أن الإنسان أشرك أهله في هذا، وجالسهم في مجلس علم يتدارس فيه القرآن، ويشرك الأطفال في هذا، ويدربهم، ويشرك أهله، كم من الخير سيترتب على هذا؟

أسأل الله ﷻ أن يجعل فيما ذكرت خيرًا وبركة، وهذه الوقفات من كتب أهل العلم قد حصلتها جمعتها، ورتبتها، وصغتها، وهذبتها، وأضفت إليها ما يزيدها بهاءً، وقدمتها بين يدي إخواني محبة وتقربًا إلى الله ﷻ.

فأسأل الله ﷻ أن ينفعنا جميعًا بها، وإذا كان هناك شيء من الأسئلة؛ لأن وعدنا أن نجيب عن الأسئلة في آخر هذا المجلس نجيب عنها.

الأسئلة

السؤال: جزاك الله شيخنا على هذه الفوائد والدُّرر، وأسأل الله تعالى أن يكون ما قدمته في ميزان حسناتك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم، ذكرتم أن تدبر القرآن مع مجموعة من طلاب العلم لابدَّ أن تكون حسب قواعد التدبر المرعية، لو تكرمتم بإرشادنا للمصادر التي عنيت بذكر قواعد التدبر؟

الجواب: أنا لا أعرف كتابًا جمع هذه، لكنها موجودة منثورة في كتب أهل العلم، ومن قرأ الكلام عن منهج الصحابة في تعلم القرآن، وأنهم يتعلمون التلاوة، ويتعلمون المعاني، ويعملون، وما ذكره أهل العلم ولا سيما ابن القيم رحمه الله عز وجل سيجد هذه القواعد.

السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم، ذكر العلماء أن سبب نزول سورة الكهف ما ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أمور، ليعلموا صدق نبوته عن أصحاب الكهف وذي القرنين وعن الروح فهل من حكمة من عدم ذكر الروح في سورة الكهف، وذكرها في سورة الإسراء؟

الجواب: كون هذا سبب النزول محل نظر، ولم يثبت بإسناد صحيح، وما ذكره السائل هو مما يقوي أن هذا ليس سبب نزول السورة، ولذلك أنا ما ذكرته في مقدمة كلامي عن سورة الكهف.

السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم سائلة تسأل: إذا فاتتني قراءة سورة الكهف يوم الجمعة هل أقضيها بعد المغرب؟

الجواب: أما السنة والمشروع، والذي يتقرب إلى الله به من حيث الإضافة إلى الزمن أن يقرأها المسلم في يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، وذلك يبدأ من مغرب الخميس وينتهي بمغرب الجمعة، لكن

هذا لا يمنع الإنسان يقرأها في يوم السبت، أو يقرأها في يوم الأحد، لكن من غير إضافة إلى الزمان أو اعتقاد فضيلة؛ الإضافة للزمان واعتقاد الفضيلة إنما هو في يوم الجمعة، فلو إن انسان قال: أنا ما أستطيع أن أقرأ يوم الجمعة فأنا ألتزم أن أقرأها يوم السبت، قلنا: لا إضافة المشروع إلى زمن لم يرد في النص بدعة إضافية، ولو أن إنسانا قال: أنا إذا قرأتها يوم السبت؛ لأني لم أقرأها يوم الجمعة أعتقد حصول الفضيلة نقول: لا؛ لأن الفضل توقيفي، والفضل إنما ورد في قراءتها ليلة الجمعة ويوم الجمعة.

السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم، كان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا مرَّ بآيةٍ سبَّح، فهل هذا خاصٌ بالإمام أم يشمل المأموم؟، وإذا لم يسبِّح ولم يسأل الإمام، هل يُشرع للمأموم أن يُسبِّح ويسأل الله تعالى؟

الجواب: هذا إنما كان من النبي ﷺ في صلاة الليل، كان يقرأ متدبِّرًا لا يمر بآيةٍ فيها تسبيح إلا سبَّح إلى آخر ما هو معلوم، هذا في قيام الليل، والمعلوم أن النبي ﷺ لم يُصلي بالناس الليل جماعةً إلا بثلاث ليالٍ من رمضان، ثم ترك ذلك خشية أن يُفرض عليهم، فإذا كان المأموم يُصلي مع الإمام في صلاة الليل فإن المشروع له أن يستمع للقرآن فإذا مرَّ بآية تسبيح سبَّح الإمام أو لم يسبَّح، وكان ذلك لا يُنافي الانصات فإنه يُسبَّح، وإذا مرَّ بآيةٍ فيها ذكر الجنة فإنه يسأل الله الجنة بشرط ألا يُنافي الانصات؛ لأن الأصل هو الإنصات.

فإذا كان الإمام يسبح فهذا واضح لن يكون تسبيح المأموم مخالفًا للإنصات، أما إذا كان الإمام لا يسبح فإذا كان وقف الإمام فإنه يسبح، وإذا مر بآية فيها عذاب يتعوذ، وإذا مر بآية فيها رحمة أو جنة يسأل وهكذا، وهذا كما قلنا في قيام الليل.

السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم هل من كتاب تدلنا عليه لقراءة معرفة الموضوعات الكلية لسور القرآن الكريم؟

الجواب: العلماء الذين تكلموا في علوم القرآن أشاروا إلى مواضيع السور، وبعض أهل العلم ما أشار إلى ذلك يعني شيخ الإسلام ابن تيمية له إشارات كثيرة في الموضوعات الكلية لبعض سور القرآن.

السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا الفاضل: أنا أحضر الدروس والمحاضرات، ولكن عندما أكون في الدرس نفسي لا تطاوعني وأجاهد نفسي، ولكن بعض الدروس تغلبني النفس وأخرج من الدرس، فما نصيحتكم جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: نصيحتي جاهد نفسك، واصبر، وكون الدرس ثقيلًا عليك هذا من الأدلة على أن الدرس نافع لك؛ لأن الذي يثقله عليك الشيطان، والشيطان أحرص ما يحرص عليه أن يصرف المسلم عن طلب العلم، ويبدأ بأن يحرص أن يصرفه عن طلب العلم أصلًا، والغالب أن الشيطان يأتي بصورة ناصح؛ فيُوحي ويوسوس لبعض الناس إذا أراد أن يطلب العلم، قال: كيف تطلب العلم؟ أنت عندك معاصي، والله يعلم ما أنت فيه تذهب تهز رأسك مع الشيوخ وأنت وأنت اجلس في بيتك؛ لأنه يعلم أن طلب العلم حسنة تمحو السيئة، يأتي للإنسان يصده عن الذهاب هذا الشيخ أسلوبه ما أدري كيف، وهذا الشيخ ما أدري كيف، من غير نقد قادح في أصل العلم حتى يصده، ربما قال له: أنت هذا الشيخ ما يصلح لك أنت مستواك عالي هذا للمبتدئين تحتاج إلى شيخ، وهذا الشيخ المنتظر ما يأتي.

ومما يستعمله الشيطان ما يسميه علماء التربية بالعائق الوحيد، وهذا عادة يضعه الشيطان للإنسان أن هناك عائقًا واحدًا ما يكثر على الإنسان عائق واحد، فيقول له: أنت الآن مشغول بكذا إذا انتهيت ما شاء الله تبارك الله إذا انتهى من هذا قال: الآن أنت مشغول بهذا يأتي بشيء جديد إذا انتهيت ما شاء الله، فإن لم يستطع صَرْفه عن الحضور الحسي صَرَفه عن الحضور المعنوي، فإذا حضر الدرس أشغله، وقد يُشغله عن العلم بما يُظَن أنه علم! بعض الناس يحضر الدرس،

ويشتغل عن كلام الشيخ بكلام الشيخ؛ قد يأتي الشيخ يقول: اه هذا يَرِد عليه كذا، ويرد عليه كذا، ويرِد عليه كذا؛ حتى إذا فرغ الشيخ من الدرس لا يكون من الذي ورد شيء في ذهنه، لكن صرفه عن الدرس بهذا، ويثقل الدرس على طالب العلم، والشيطان -يا إخوة- قد يؤثر حسًّا، كما جاء أنه يضع الشوكة، والحصاة على فراش أحدنا إذا فرشه أهله ليُغضبه على أهله؛ حتى إذا وجد ذلك يغضب على أهله، فإذا وجد ذلك فلا يغضب على أهله فإنه من عمل الشيطان، وهذا جاء موقوفا وله حكم الرفع، فالشيطان لكونه يعلم أن العلم يفيدك في إيمانك، ودينك، وينفعك يُثقِّل العلم عليك فأنت جاهد نفسك، وصابر واصبر، وإذا ضعفت فارجع قويًّا، ولا تُسلِّم الراية للشيطان أبدًا، أنت في طريق الجنة -يا أخي-، أنت في طريق الجنة ولو لم تحصِّل علمًا، كيف تترك؟ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ))[٣٠]، والله لو بقيت طول عمرك تأخذ الكتب وتذهب، وتَحضُر الدرس وأنت مخلص، لكن ما تُحصِّل إلا شيئًا يسيرًا، والله إنك في طريق الجنة، وإنك في خيرٍ ما دمت مخلصًا لله وتطلب العلم من أهله، كيف تمل وأنت في طريق الجنة؟ كيف تترك وأنت في طريق الجنة؟ كيف تترك هذا الخير، وهذه القربى، وهذا الشرف؟ شرفٌ عند الطلب، وشرفٌ إذا حصَّلت شيئًا، ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يلتمسُ به عِلْما سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتها لطالب العلم رضًا بما يَصنَع))، تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، لأنها تعلم أن الله يرضى بما يصنع؛ الله أكبر يا أخي! أنت الآن أيقِن أن ربك ﷻ راضٍ بما تصنع إن كنت مخلصًا لله، وأن الملائكة -الذين لا يعصون الله ما أمرهم- راضون بما تصنع.

الملائكة ماذا تفعل لطالب العلم؟ تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب.

(٣٠) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم: (٢٦٨٢).

سبحان الله! أي شرف؟ طالب العلم يسير بين الملائكة عليهم السلام من محبتهم لما يطلب، كيف تترك؟ كيف تخضع لوساوس الشيطان؟ وشياطين الإنس والجن يريدون الصد عن العلم، ثم إذا حصَّلتَ شيئًا فإنك في خير عظيم، فالعلم كله خير.

فالوصية للرجال والنساء: الحرص على العلم النافع، وعلى أخذه من أهله، وأن نحرص على أن يزيدنا العلم تواضعًا، وتقًى، وإيمانًا، وقربًا من ربنا، وحسن خلق مع الخلق، وقيامًا بالحقوق التي علينا، وهذا طريق الفلاح والنجاح، ولا تزال البلاد بخير ما بقي فيها طلاب علم، والله لا تزال تأمل للبلد الخير والفلاح ما شجعت العلم، وما بقي فيها طلاب علم.

فأسأل الله ﷻ أن يهدينا جميعًا، وأن يوفقنا جميعًا، أسأل الله ﷻ أن يثبتني وإيَّاكم على التوحيد والسنة، وعلى منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن يحفظ بلدان المسلمين من شرور الفتن والفتانين، وأن يحفظ دولة الإمارات العربية المتحدة بحفظه، وأن يوفق حاكمها إلى ما يحب ويرضى، وأن يجزيه خيرًا عن تواضعه وقربه من الناس، وحسن معاملته للناس، وحرصه على الناس، وأن يزيد الألفة بينه وبين الرعية، وأن يوفق سائر الحكام في الإمارات العربية المتحدة إلى ما يحب ويرضى، وأن يزيد الخير خيرًا، وأن يبعد عن هذا البلد الشر والأشرار.

وأن يجعلنا جميعًا من عباده الصالحين، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.